





العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

طلقة تنوير 61: مقولة "الكتلة التاريخية" كذريعة للتحالف مع الإخوان

لا «كتلة تاريخية» مع قوى مناهضة للمشروع القومى

إبراهيم علوش

انعقدت في الرباط في نهاية شهر نيسان/ إبريل الفائت ندوة فكرية كبيرة ناقشت ضرورة إنشاء ما اسمته «كتلة تاريخية» من القوميين العرب والإسلاميين واليساريين والليبراليين في هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها الوطن العربي، على أرضية «الاتفاق حول قضية فلسطين ومواجهة الاستعمار بأشكاله القديمة والحديثة»، وبسقف تحقيق «المشروع النهضوي العربي بأبعاده الستة، وهي التجدد الحضاري، الوحدة العربية، الديموقر اطية، العدالة الاجتماعية، الاستقلال الوطني، والتنمية المستقلة»، كما فهمنا مما كتب وقيل حول هذه المناسبة المهمة في الإعلام من قِبل القائمين عليها في مركز در اسات الوحدة العربية والمؤتمر القومي الإسلامي.

الحقيقة أن فكرة «تجميع» القوميين والإسلاميين واليساريين والليبر اليين في بوتقة واحدة، حتى لو لم ينطبق على مثل ذلك التجميع تعريف «كتلة تاريخية» كما بسطها غرامشي، الذي كان قد التقط طرف خيطها من المفكر الفرنسي جورج سوريل(1)، ليست فكرة جديدة قط، وكان قد روج لها مركز در اسات الوحدة العربية منذ سنواتٍ طوال، كما نرى من أدبياته حول «المشروع النهضوي العربي»، وهي فكرة إشكالية من الناحية المنهجية والمبدئية والعملية، ولا يقل عنها إشكالية بعض ما جاء في شروح وحيثيات ما قدمه مركز در اسات الوحدة العربية حول ما أسماه «المشروع النهضوي العربي» الذي يفترض أن تتقدم «الكتلة التاريخية» لتحقيقه، مما لا يشكل موضع إجماع البتة بين القوميين العرب أنفسهم، أو حتى بين كل من يشاركون في المؤتمر القومي العربي ذاته، ناهيك عن افتراضه موضع إجماع بين القوميين والإسلاميين واليساريين والليبر اليين.

لكن في ظروف اشتداد الهجمة، من قبل بعض الإسلاميين والليبر اليين بالذات، على كل ما هو قومي عروبي، أي في ظروف ما سئمي "ربيعاً عربياً"، لم تكن ثمة فائدة ترجى، من منظور مصلحة الأمة العربية والتيار القومي العروبي، من تحويل النقاط الخلافية في "المشروع النهضوي العربي" المطروح على الورق وفي الخطابات فحسب إلى نقاط تناقض أساسية في صفوف القوميين في واقع عربي راح يزداد تعقيداً وعدائيةً يوماً بعد يوم، وكان ما يسمى "الربيع العربي" قد تكفل بنفسه بإنهاء أي مظهر من مظاهر "التحالف القومي-الإسلامي"، بعد أن انقضت أجزاء أساسية من التيار الإسلامي (والتيار الليبرالي) على كل ما هو

طلقة تنوير 61: مقولة "الكتلة التاريخية" كذريعة للتحالف مع الإخوان

المجلـة الثقافيـة للانحـة القومـي العربـي... عـدد 1 حريـران 2019

- لا "كتلة تاريخية" مع قوى مناهِضة للمشروع القومي/ إبراهيم علوش

سوسي إبرا ميم صوس - عندما يلتحف المشروع الإخواني بعباءة غرامشي/ عبدالناصر بدروشي

- الكتلة المضادة: هلَ هي تاريخية؟/ بشار شخاترة - تحالف القوميين مع الإخوان.. سنذاجة أم ماذا؟!/ كريمة الروبي

- التسلل الإخونجي.. من باب "المصالحة" و"طي صفحة الربيع"/ السيد شبل

- منبر حر: الكتلة الحرجة/التاريخية وتأويل غرامشي عربياً/ توفيق شومر

- غرامشي في السياق القومي الجذري/ يحيى العطشان

- الصفحة الثقافية: فيلم دمشق حلب.. حكاية عن الأمل/ طالب جميل

- قصيدة العدد: رسالة حربية عاشقة/ مظفر النواب - رسم العدد: الشعب يريد إسقاط تجارة الدين

#### لمتابعتنا انظر

لمتابعتا على فيسبوك، ابحث عن: لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

ر و ابط صديقة.

موقع الصوت العربي الحر www.freearabvoice.org

ر اسلنا على: \_arab.nationalist.moderator@gmail.com\_



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

على كل ما هو قومي، حتى أنهم لم يحتملوا بقاء رمز مثل تمثال جمال عبد الناصر في بنغازي الذي دمره جرذان الناتو في 12 شباط/ فبرايـر 2012...

أما المطروح اليـوم فقـد بـات إلقـاء طـوق نجـاة، أو ورقـة تـوت إن شئتم، مـنَّن قبـلُ عِنـاويــن قوميــة معروفـــة، لقــوى إســــلامويـة انكشف طِابقها تماما في خضم "الربيع العربي" باستدعائها للتدخل الأجنبي (القرضاوي نموذجاً)، وتلقي الدعم العسكري والاستخباري والمالي والسياسي من الغرب، وانخراطها في مشاريع تدمير أكثر من قُطر عربي، من ليبيا لسورية، وانقضاضها على كل معلم من معالم التراث القومي التحرري في الوطن العربي، فليس صحيحاً على الإطلاق أننًا كقوميينَ نتقق مع تَلِك القوّي على مناهضة الاستعمار والهيمنة الغربية والتدخـلُ الأجنبـي، لأن مـا كشـفته مـن سـريرتها منـذ عـام 2011 لا يترك مجالاً للتفاهم معها على "الاستقلال الوطني" مثلاً، أو على "الجفاظ على الهوية"، أو "مناهضة الاستعمار"، كما يقول بعض الأساتذة القوميين الذين نحترمهم ونقدر هم ونختلف معهم بشدة في الاجتهاد.

كل ما في الأمر أن بعض الإسلامويين عادوا عام 2011 إلى سابق عهدهم الذي درجوا عليه في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات في العمالة للغرب، وإذا كان انهيار الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية عام 1991، وتراجع المد القومي التَحرري في العالم عموماً، وفي الوطن العربي خصوصاً، قد جعل ممن وظفتهم الإمبريالية (مثل "المجاهدين" في أفغانستان

في نهاية السبعينيات مثلاً) قوة عُمل فائضة لا بد من التخلص منها بعد استهلاكها واعتقاد الإمبريالية أنها حققت نصراً ناجزاً بـ "نهايـة التاريخ" وانتصـار "الديموقر اطيـات الليبر اليـة" الغربيـة نصـراً لا رجعـة فيـه (كمـا قـال فوكويامـا فـي مقالـة عام 1989 وفي كتباب عام 1992)، فكانت "الحرب على الإرهاب"، تلك الحرب التي كانت ضد التيار الإسلاموي في العنوان، والنِّي أسفرت عملياً عن تدمير العراق وتهديد عدة أقطار عربية وخلق البيئة الأمثل لانطلاق بعض أبشع أشكال الحركات التكفيرية في العراق خصوصاً والمنطقة عموماً، فِإن مرجلة ما بعد 2011 أظهرت أن التنسيق بين بعض الإسلامويين والغرب، بشقيهم المدنى والمسلح، لم ينقطع أبداً، كما أظهرت الأحداث أن إدارة الرئيس الأمريكي السابق أوباما كانتٍ من أشرس المدافعين عن مرسَّي وحكم الإخوان المسلمين في مصر بعد أن تبنت تلك الإدارة فكرة تُعميم نمط التأسلم التركي التابع للغرب، من خلّال الإخوان المسلمين، على بعّض البلدان العربية تحت عنوان "الإسلام المدني الديموقر اطي".

من الضروري التوقف هنا برهة للإشارة إلى أن الحديث عن "بعض الإسلاميين"، كما جاء أعلاه، ممن يشكلون في الواقع الجزء الأكبر منهم، لكي لا يشمل الأخوِة في حزب الله، أبطال المقاومـة والتحريـر، الذيـن يشكلون حجـر عثـرة في طريق الهيمنة الغربية على المنطقة، بعد أن قدموا الغالي والنفيس في مواجهة العدو الصهيوني والعدو التكفيري، وكَّلاهما وجهان لعملة واحدة، فأبلوا بـلاءً حسناً في مواجهة كليهما، فمنِّ البديهي أن ما نقوله عن الإسلامويين الذين يتعاونون مع الغرب ويمعنون في تدمير البلدان العرّبية لا ينسحب على الأخوة فيّ حزب الله من قريب أو بعيد، وليس حزب الله بحاجة لشهادة من أحد على وطنيته وتصديه للصبهينة والتكفير والهيمنة الغربية، لأن دمه ونصره وتضحياته وإنجازات بشهد له، فذلك موضوع أخر، إنما فليسمح لنا الأخوة في الحزب، بما عُرف عنهم من سعة صدر واستعدادٍ للَّحوار، أن نختلف معهم في قصَّة السَّعي لـ"إعـادة تأهيل" قِوي سَّياسية طائفية ثبتُ تورطها في التعامل مَّع الغرب ضد عدة بلدان عربية وضد محور المقاومة ذاته، إن وطنياً أو إسلامياً.



العدد رقم ( 61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

بجميع الأحوال، لحزب الله حساباته التي يعرف كيف يديرها بمعرفته وحنكته وخبرته الطويلة، فهو حزبٌ متماسك ذو قاعدة جماهيريـة واسعة وقدرات عسكرية ذات مستوى إقليمـي وفعاليـة وتأثيـرٍ سياسـيين عالييـن، فكيفيـة إدارتـه لعلاقاتـه وتحالفاته هي مسألة هو الأقدر على حسابها، لا سيما أن وزنه السياسي والعسكري يتيح له هامشاً أكبر للحركة، وللتقدم والتراَّجع، في المناطق الرمادية، أو حتى خلف خطوط العدو.

اما التيـار القومـي العربـي اليـوم فيعانـي مـن عـدم وجـود: 1) اطـر حزبيـة وجبهويـة قوميـة عروبيـة عابـرة للاقطـار العربيـة ذات ثقل جماهيـري وسياسـي وازن، 2) حالــة تماسـك فـي صفوفـه، بـل تعتريـه حالــة مـن التفـكك والتشـرذم والخلافـات داخلية، 3) فاعلية عسكرية ذات شأن في مواجهة الاحتلالات الأجنبية، 4) مرجعيات فكرية أو قيادية واضحة على المستوى القومي كما كانت عليه الحال في الخمسينيات والستينيات، 5) بوصلة واضحة تستند إلى مصلحة الأمة في اتخاذ الموقف السياسي، لا كما رأينا في حالة "الربيع العبري" فحسب، بل حتى فيما يتعلق بالموقف من القضية الفلسطينية (وحلولها) والحرب الكونية على سورية أو حتى مقاطعة العدو الصهيوني...

عليه، فإن كل ما يملكه منبر مثل المؤتمر القومي العربي، كإطار حواري نخبوي في المحصلة، هو عنوانه القومي العروبي، فإن قدم ذلك العنوان لقمةً سائغةً لقوى ذَّات أجندات سياسية معاديَّة للمشرُّوع القومي أثبتت عداءها المستطير ، قِوى منظمة ذات قواعد جماهيرية ومشروع سياسي رجعي تاريخياً ومرتبط بالغرب، لكِنها قوى تعاني الآن من انسداد أفـق مشـروعها بسِـبب صمـود سـورية وانهيـار الثـورة المضـادة المسـماة ِ''ربيعـا عربيـا''، فـإن مثـل تلـك الخطـوة غيـر المحسوبة سياسياً، لا سيما في الظرف العربي الراهن، تمثل نحراً معنوياً للعنوان القومي على مذبح آلهة كاذبة، وتمثلُ تضييعاً لفرصة تاريخية قد لا تتكرر قريباً للاستفادة من سقوط التيار الإسلاموي لإعادة إطلاق التيار القومي، كما تمثل دفعاً للعنوان القومي باتجاه منزلق خطير في خطوة ليست البتة موضع إجماع بين القوميين.

إن علاقة من هذا النوع، بين جهة قومية نخبوية تفتقد للوزن الجماهيري والعسكري والمالي والتنظيمي، وبين قوى رجعية معادية ذات انتشار إقليمي وشعبي وتستخدم التدين السياسي سلاحاً، لا يمكن أن تكون علاقة متكافئة، وستفرض على القوميين العودة إلى حالة الذيلية الَّتي عانوها، باسم التحالف، قبل "الربيع العربي". فمن الأولى، قبل البحث عن تحالفات، فيما يعاني التيار القومي من التشتت والضياع وانعدام الوزن، هو رص صفوف القوميين ولم شملهم، والبحث عن إطار جبهوي للناصريين والبعثيين والقوميين اليساريين والقوميين المستقلين من مختلف التوجهات، والعمل على تحويلهم من تيار نخبوي ومبعثر إلى تيار شعبي جارف، أي التأسيس لبناء أداة المشروع القومي، لا تقديم ورقة توت لقوى معادية وصل مشروعها إلى مأزق! فإن كنتم مصرين، اسمحوا لنا أن نقول لكم بكلٍ أدب واحترام: ليس باسمنا، فما تطرحونه غير مقبول، وأنتم لا تمثلون القومية العربية (ولا نحن نستطيع ولا غيرنا أن يزعم تمثيلها على مستوى قومي، لأنها تعاني من مشكلة تمثيل في الساحة العربية أصلاً).

# - مسألة وضع قبعة ''غر امشى'' فوق تحالف بعض القوميين مع الإسلاميين و الليبر اليين:

لعل من مآسي المفكرين والأفكار العظيمة هو أكوام القبعات الممزقة المعلقة على مشجبها. ومفهوم "الكتلة التاريخية" عند غرامشي، كفكرة عظيمة، ليست بمنـأى عن محاولـة توظيفهـا سياسـيا هـي الأخـرى، بشـكل مشـروع، بمـا هـو فيهـا، أو بشكل غير مشروع، أي بما هو ليس فيها، كما هي الحال في محاولة إلباسها قبعة ''تحالف القوميين مع الإسلاميين والليبرالييـنَ". ولا أعرف كم عدد من قرأوا دفاتر السجن لغرامشي رقم 10 و13، ممـن يتحدثـون عـن مفّهـوم "الكتلـة التاريخية" في سياق تبرير العلاقة مع الإسلاميين والليبر اليين، ولكن غرامشي عندما تحدث عن الكتلة التاريخية لم يكن يتحدث عن تحالف فحسب، بل عن اندماج عضوي لقوى اجتماعية مهمشة ليست كلها من عداد البروليتاريا في سِياق خوض "حرب ثقافية" إذ أن الطبقة السائدة برأيه لا تستطيع أن تحكم بالحديد والنار أو بالقانون فحسب، بل عليها أن تكسب رضا المحكومين، من خلال إنتاج منظومة قيم ومفاهيم تؤسس للخضوع لها، وفي مواجهة هذه المنظومة، لا بِد من خوض "حرب ثقافية مضادة" يقوم بها المثققون العضويون الممثلون للفئات المهمشة، في مواجهة الانتلجنسيا، أي شريحة المثقفين والأكاديميين والخبراء والفنانين والمبدعين الذين يمثلون الطبقة المسيطرة، ليكون الهدف النهائي من هذه الحرب هو تأسيس دولة الفئات الاجتماعية المهمشة، وقد تميز غرامشي بأنه أبرز دور العوامل غير الاقتصادية، وأنـه رفـض مـا اعتبـره ''قدريـة اقتصاديـة'' عنـد بعـض المفكريـن الماركسـيين، وقـد جـاء مفهـوم الكتلـة التاريخيـة تطويـراً



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

ثقافياً وتوسيعاً لمبدأ التحالف بين العمال والفلاحين المذي طرحه لينين، سوى أنه طرحه كمقدمة للحرب السياسية، فالكتلة التاريخية مشروع تثقيفي بالأساس، وقد طورها من خلال مقولة 'المثقف العضوي'' في كتاب 'الأمير الصغير''، (وللمزيد حول غرامشي ومفهوم الحرب الثقافية وتطبيقاتها عربياً، الرجاء الذهاب للعدد الأول من طلقة تنوير 1/5/2014).

التعبير غير موفق إذاً إذا كان المقصود به تبرير علاقة تحالف سياسية بين قوى مختلفة عقائدياً، ف"الكتلة التاريخية" عند غرامشي تقترض وجود قاسم عقائدي مشترك، وتخصصات ضمن ذلك الفضاء الأيديولوجي المشترك، وتعميم ذلك القاسم العقائدي المشترك جماهيرياً، لا تناقضات عقائدية مبدئية، كما هي الحال بين القوميين والإسلاميين واليساريين والليبراليين. ولعل ما كان يجب التحدث عنه، عوضاً عن مفهوم "الكتلة التاريخية"، في حالة الإصرار على الاتكاء

ينده منا الكتاب في زين الردة من الشروع الفرس المروبي، مراماً طائعياً متحدولًا من ورك الهوارية . مراماً طائعياً متحدولًا من الروى القريبة والتكرية . والتكرية والتكرية والتكرية والتكرية والتكرية والتكرية والتكرية والتكرية والتركية المرامة والمهونة تكرية وأما هم رامية إلحيا الوسندوي العربي الجالي الوسندوي العربي الجالي الوسندوي العربي الجالي الوسندوي العربي الجالي الوسندوي المرامة المرامية المجارية واحدة وإلى الموسندوي العربية الجالية والمجارة الموسندوي العربية الموسندوي العربية المؤلفية والمؤلفية الموسندوي المؤلفية الموسندوية المؤلفية الم



نقد الردة عن المشروع القومي مقاربة جدرية للوحدة والعروبة والنهضة



إبرافيدعلوق إبرافيد حرشاوي أسامة الصحراوي أساجي علوش بشارشماناترة أسورشسيطة المسيدشسيل واصار البندار صناع بدوشي معاوسة موسى توفيسؤشسوم علسي بابسار





على الأدبيات الماركسية من النصف الأول من القرن العشرين، هو مفهوم الجبهة المتحدة (بين الأحزاب الشيوعية والبرجوازية) ضد الفاشية التي عممها مؤتمر الكومنترن السابع عام 1935، والتي كتب فيها جورجي ديمتروف وماوتسى تونغ وغيرهم.

لكن حتى لو ذهبنا إلى التحالف في بعده السياسي فحسب، فإن ذلك لا يفترض بالضرورة جبهة متحدة، بل قد يتخذ التحالف بعداً موضعياً أو مرحلياً، كما يمكن أن ينشأ التحالف حول نقطة واحدة عند الضرورة، مثلاً، مقاومة التطبيع، مما قد يحتاج إلى لجنة أو هيئة تنسيق فحسب، ولكن ذلك يصعب أن يسمى جبهة متحدة. فالجبهة المتحدة تفترض وجود اتفاق على برنامج سياسي بنقاطه العريضة في مرحلة سياسية ما، لا على نقطة واحدة، وكما أشار ناجي علوش في فصل "الجبهة القومية المتحدة" في كتاب "عودة إلى موضوعات الثورة العربية": "طبيعة الجبهة القومية المتحدة تحددها طبيعة التناقض الرئيسي في كل مرحلة تاريخية، وبالتالي تحديد معسكر الأصدقاء ومعسكر الأعداء، فالجبهة القومية المتحدة التي تكون أولويتها الأولى مواجهة الاحتلال والتدخل الأجنبي قد تجتذب إلى صفوفها قوئ مختلفة بعض الشيء عن الجبهة القومية المتحدة التي تقوم بعد تحقيق الوحدة والتحرير من أجل الدفاع عن سلطة الشعب وتحقيق التنمية الاقتصادية وبناء الاشتراكية" (وللمزيد حول هذا الموضوع، الرجاء الذهاب للعدد 19 من طلقة تنوير حول "مسألة التحالفات والجبهات العريضة"، المنشور في 1/12/2015).

العبرة هي أن التحالف يفترض حداً أدنى من الاتفاق مثلاً حول فلسطين والهيمنة الغربية، ولو افترضنا وجود اختلافات أخرى، فهل نحن متفقون فعلاً على برنامج مناهضة الصهيونية والهيمنة الغربية؟ بلى، كلنا يقول أنه يحب فلسطين ولا يحب الهيمنة الغربية، ولكن هل تشكل مثل هذه المشاعر أساساً لجبهة متحدة إذا كنا نختلف حول مسألة برنامج التحرير الكامل مقابل برنامج "الدولة الفلسطينية"؟! ولكي نكون عادلين، لا بد من أن نذكر أن بعض السادة في المؤتمر القومي العربي لا يزالون يتبنون مقولة "الدولة الواحدة" ("إسرائيل" لمواطنيها كافةً)، وهو الأمر الذي يجعل نشوء جبهة متحدة حتى حول فلسطين وحدها مستحيلاً، ناهيك عن ارتباط الكثير من الليبراليين بمنظمات التمويل الأجنبي الغربية كما تجلت في "الربيع العربي،" وفي الخمسينيات والستينيات.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

لسنا ضد التعاون الموضعي أو المرحلي حيث يجب ذلك، لكننا لا نوهم أنفسنا أنه جبهة متحدة من أي نوع، ولا نقدم أغلى ما نملك، عنواننا القومي، غطاءً لتمرير أجندات معادية، ولو افترضنا وجود تقاطعات في نقاط مرحلية أو موضعية، بجميع الأحوال، فإن الدكتور محمد عابد الجابري مفكر عربي كبير، وهو مرجع أساسي في الفكر العربي، ويمكن للمرء أن يتعلم منه كثيراً، ولكن تطبيقه لمقولة "الكُتلة التاريخية" لم يكن موفقاً، والأهم أنه ليس مرجعاً في الفكر القومي العربي، ولم يكن قومي التوجه بأية حال، وثمة إشكال، من منظور قومي عروبي، في تحديده لمسألة الهوية (انظر طلقة تنوير 7، ''في الرد على الليبراليين ومحمد عابد الجابري''، 1/12/2014).

نضيفِ أن مفهوم محمد عابد الجابري لِلقومية العربية المعاصرة، التي ابتلي بها منظور "المشروع النهضوي العربي" أيضًا، وهو إحالة المشروع القومي لتأسيس دولٍ وطنية قَطرية، والاعتبار أن "إعادة تأهيل" المشَّروع القومي يرتبط بتحويله لمشروع ديموقراطي ليبرالي، هو من أهم النقاط الخلافية مع رؤية "المشروع النهضوي العربي" كما قدمه مركز دراسات الوحدة العربية، كمنا نلاحظ من هذه الفقرة مثلاً: "أن الفكرة القومية التقليدية عن الوحدة العربية: الذاهبة إلى استهداف الدولة القطرية والمتطلعة إلى زوالها، لم تقدم شيئاً للمشروع التوحيدي ولا فتحت أفقاً أمام تحقيقه ولقد أن الأوان لإعادة النظر في ذلك الموقف التقليدي من الدولة القطرية على قاعدةِ الاعتراف بها والمصالحة معها ككيانِ واقعي، والانطِلاق في العمل الوحدوي منها كخّامة أو كمادة وليس على أنقاضها". وقد رددنا على هذا الطرح، الذي يمثل تقهقراً عن الموقف القومي، في مناقشة لأحد كتب مِحمد جابر الأنصاري تحت عنوان: "عندما يتحول القوميون إلى دعاة للدولة القُطرية: محمّد جابر الأنصاري نموذجاً"؛ وبالنسبة لنا، فإن مواجهة مشاريع التفكيك لا يستدعي التنظير للقُطرية، كما أن انحسار الحس القومي العروبي هو أحد أهم أسباب تفشي النزعات العشائرية والطائفيـة والإثنيـة والجهويـة فـي المجتمـع العربـي (طلقـة تنويـر 12، "الدولـة القُطريـة فـي زمـن التفكيك"، 1/5/2015).

زد على ذلك أن دولة التجزئة العربية تظل عاجزة عن تحقيق المشروع التنموي أو حماية أمنها الوطني نفسه استراتيجياً ولـو حكمهـا قوميـون جذريـون، أو قـارئ هـذه السـطور، بأخلـص النوايـا، لأن قوانيـن التجزئـة ذاتهـا تمنـع تحقيـق التنميـة والأمن في قطر عربي واحد، وبالتالي تمنع حل مشاكل الدولة القُطرية ما دامت أدواتها قُطرية، وما دِّامت لم تتجاوز قُطرها، وأهذا رفضنا في "الائحة القومي العربي" تبني برنامج "وطني ديموقراطي" قُطري، نرى أنه غير منطقي و غير ثوري، في كل دولة عربية على حدة، فالتنمية والتحرر مِن الاستعمار، والحفاظ على الأمن القومي، هو مشروع قومى عربى، وهو مشروع واحد، أو أنه مشروع فاشل مسبقاً.

ربمـا لا يتسـع المجـال هنـا لسـرد كل نقـاط الخـلاف مـع مـا جـاء فـي نـص "المشـروع النهضـوي العربـي" كمـا قدمـه مركز دراسات الوحدة العربية، ولذلك سنركز على تلك الجوانب المرتبطةِ بإساءة تأويل مفهوم "الكتلة التاريخية" لغر امشى في سياق إقامة تحالف مع الليبر اليين و الإسلامويين، إذ نلاحظ مثلاً، في تقييم "المشروع النهضوي العربي" لتجربة جمال عبدالناصر، النقد التالي: ''وثانيها تأجيله مطلب الديمقر اطية واعتبار ها دون قضية اِلتنمية أولوية، وبالتالي استبعادُهُ قطاعاتٍ واسعة من الشعب من المشاركة السياسية وإدارة المشروع نفسه... وخامسها أن الصراع الذي نشب بينه وبين قوى الإسلام السياسي واليسار لم يُمكِّن من استيلادِ تحالفٍ عريض يضم سائر القوى ذات التمثيل الأصيل والفعالية السياسية تحمل ذلك المشروع وتنهض بمهمة تحقيقه".

من جهتنا نرى إشكاليات مستعصية في مثل هذه الرؤية، التي ركزت على تجربة جمال عبدالناصر متجاهلةً غيرها من التجارب القوميـة بالمناسبة، أمـا إلإسـلام السياسـي، الـذي واجهـه عبدالناصـر، فكان امتـداداً للغرب والرجعيـة العربيـة، وبالتالي شكل الصراع معه امتدادا للصراع مع القوى الخارجية التي توظفه، وعلاقتنا مع الإسلام، كأمة عربية، وكقومييَّن، لا تمر منَّ خرم إبرة الإسلام السياسِّي، ولنا أن نناقش علَّاقة القوى القومية واليسارية مع بعضها في سياق ديموقر اطي، أما اختـٰزال الديموقر اطيـة بمنطّـق ليبر الـي غربـي، فيعانـي مـن إشكالية كبيـرة أيضـاً، لا سيما أنّ "المشروع النهضوي العربي" يركز على مقولة التأخر الحضاري، ويصف أبعادها الاجتماعية والثقافية، ثم يصر على أن الديموقر اطية هدف مساوٍ للوحدة وغيرها من أهداف المشروع الستة، لكنه لا يقول لنا كيف تنشأ الديموقر اطية في مجتمع عشائري طائفي جهًوي لم يقم فيه بعد مفهوم المواطنة التي لا يمكن أن تقوم إلا في ظل دولة قومية، مبنية على علاقة عقد اجتماعي بين المواطن والدولة، لا بين الطائفة والعشيرة والجماعة العرقية من جهة، والدولة من جهةٍ أخرى، على أساس المحاصصة... ولا يقول لنا كيف تسقط الديموقر اطية في أحضاننا من خِارج التطور الطبيعي للمجتمعات، وماذا يحدث عندما تتصارع الجماعات العشائرية والطائفية والعرقية "ديموقراطياً"!



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

وكما أشرت في مادة بعنوان ''مسألة الديموقر اطيـة في البرنامج القومي الجذري'' (طلقـة تنويـر 17، ''مسألة الديموقر اطية في المشروع القومي"، 1/10/2015):

"العبرة هي في خطورة حرق المراحل التاريخية. فالديموقراطية لها شروط تاريخية وبنيوية لم تتحقق في أوروبا إلا على مدى قُرون، والدولة القومية الأوروبية بدأت بحكم مطلق، لترسخ مؤسساتها، ومفهوم المواطنة، لتنتقلُّ بعدها إلي تداول السلطة وفصل السلطات واستقلال القضاء إلخ... ومن يحقق شروط الديموقر اطية هو ديموقر اطي موضوعيا، لأن التصنيع والاستقلال الوطنى والوحدة القومية ومحو الأمية وإقامة المؤسسات يخِلق المجتمع المدنى الذي لا تقوم ديموقر اطيـةٌ من دونـه، فـإذا كان من يقوم بهـذا ديكتاتـوراً، مثـل محمـد علـي باشـا مثـلاً فـي مصـر في النصـف الأول مـنَ القرن التاسع عشر، فإنه يحقق شروط الديموقراطية التاريخية، ويجب أن ندعمه من دون تردد، لأنه يتحمل عبء المهمات التِّي يجب أن نقوم نحن القوميين الجذريين بها، وإذا كان من يحمل عبء تلك المهمـة التاريخيـة هو نخب (لا نراها حالياً) ذات وعي قومي ديموقراطي اشتراكي، فإن ذلك سيكون أفضل بكثير طبعاً، لكننا لا نفصل التاريخ على

عموماً، هناك الكثير مما يمكن أن نقوله في نقد "المشروع النهضوي العربي" أيضاً، ففي الجزء المتعلق بالاستقلال الوطني والقومي، هناك حديثٌ عن تحرير الأرض العربية بالعموم، وأن نهج التسوية مع العدو الصهيوني قد أفلس، ولكن لا يوجد نيص واضح يؤكد على تحرير كل فلسطين وعلى عروبتها من النهر إلى البحر.

كذلك في مغازلة التيار الليبرالي تـرى موقفاً مائعاً جيداً مـن المنظمـات غيـر الحكوميـة الممولـة أجنبيـاً، فـي سـياق سـرد "حسناتها وسيئاتها"، ومنها أنها تتلقى "تمويلاً أجنبياً"!

أخيراً، وليس آخراً، يحاول كتاب "المشروع النهضوي العربي" أن يوحوا أن التيار القومي لم يهتم بمسألة العدالة الاجتماعية، التي اهتم بها اليسار فحسب! وأن كتاب "المشروع" هم أول من ربط بين الوحدة والديموفر اطية والعدالة الاجتماعية النجي مع الاحترام، هل اطلعتم على الأدبيات القومية جيداً قبل إطلاق مثل هذا التعميم غير الدقيق؟!

الهوامش:

(1) file:///C:/Users/DELL/Downloads/362-999-1-PB.pdf

عندما يلتحف المشروع الإخواني بعباءة غرامشي عندما يتطهر الإسلاميون بالفكر اليسارى

### عبدالناصر بدروشي

من المعلوم أن الأحلاف والتكتلاِت السياسية ليست جامدة أو ثابتة، بـل هـي حركيـة ومتحوّلـة تتوهّج أحيانـأ وتفتُر أحيانـأ أخرى وتتقطع حِيناً وتتجدُّد حيناً آخر، وأنها محكومةً بمعايير تفرضها المصَّلحة المشتركة والعدوّ المشترك والجغرافيا.

يمكن لأي متابع للشأن السياسي أن يلتقط التحركات والدعوات التي يُطلقها بعض الأنصار والمثقفين في الأونة الأخيرة داخـل حلَّف المَّقاومـة والسـاعيَّة إلـي إعـادة تشكيل هـذا الحلـف وتوَّسـعته ليتحـوّل إلـي حلـف أكبـر وأشـمّل يضـمّ ممثّليـن لمختلف ألوان الطيف الفكري والسياسي المنتشرة في الجغرافيا العربية، ويقوم هذا الملتقى بحسب الداعين لله على قاعدة تجاوز "صراعات" المأضي التي وقع فيها الجميع، ومحاولة استقطاب أو تُحييد بعض القوى التي تدور في فلك الإمبريالية، وعندها لا يسعنا إلا أن نقول: "ما أشبه اليوم بالأمس..".

لا يحتاج القارئ إلى ذكاءٍ خارق، ولا لملكة تحليلية فريدة حتى يدرك أن المقصود من هذا الكلام هو إعادة تأهيل جماعة "الإخوان المسلمون" بعد أن تم دحر مشروعهم بفضل صمود وانتصارات الجمهورية العربية السورية،



العدد رقم ( 61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

وبعد أن تراجعت شعبيتهم إثر تموضعهم بوضوح في خندق الإمبريالية التي استهدفت الجمهوريات العربية وأسقطت بعضها، والمقصّود بإعـادة التأهيـل هـو التأسـيس «لمصالحـة» بِيـن التيــار القومِــي مــن جهــة، والإســـلام السياســي مــن جهــة أخرى بدرجة أولى، ومن ثم بين التيار القومي والتيار الليبرالي بدرجة ثانية.

بالعربي الفصيح، بعد أن سقطت ورقة التوت عن «الإخوان»، وتبيّن مدي استعدادهم وجهوزيتهم للتحوّل إلى مَطيّـة في أي لحظـة تاريخيـة تسـتخدمهم قـوى الهيمنـة الأجنبية لضرب جبهة المقاومة، وبعد تبيّن زيف شعار اتهم حول فلسطين الذي باعوها في أوِّل يوم وصلوا فيه للحكم عبر الإمعان في النطبيع، وبعد أن خانوا فلسطين وسورية وِطْ رِدُوا مِنها يريد البعض أن يُعِيدهم من شُـ بَّأَكَّ ﴿ الكَّتُلَّةُ التاريخيـة» في نسختها «الجابريـة» (نسبة لمحمـد عابـد

و عندما نقول ما أشبه اليوم بالأمس، فإن ما نقصده بالأمس إنما هو الأمس القريب، هذا الأمس الذي لا يتجاوز ثلاثة عقود، ولأن في المعرفة ما يُغنينا عن التجربة، وكما أن الهدف من دراسة التاريخ هو خدمة المستقبل، وحتى نتمكن من تحديد موقفنا من مساعى دعاة «الكتلة التاريخية»،

والتّي تهدف اليوم إلى إعادة إنتاج تحالف سياسي واسع يجمع «قوميين» و «إسلاميين»، دعونا نسلّط الضوء على تجربة «المؤتمر القومي-الإسلامي» التي لم يمضِ على إطلاقها زمنٌ طويلٌ ولمّا يُخفِها بعد غبار التاريخ.

أثناء تصِفِحي لموقع المؤتمر القومي-الإسلامي على الإنترنت، لفتت انتباهي الورقة المنشورة على الصفحة الرئيسية، وتحديداً النقطَّة الثانية في الورقة التَّي تحمل عنوان ﴿فكرة المؤتمر ونقطة البداية».

المثير في هذه الورقة، وفي تلك النقطة تحديداً، والتي تتطرّق لفكرة تأسيس المؤتمر القومي-الإسلامي، هو أنه بإمكاننا المحافظة على الورقة ذاتها وأن نضع تحتها تاريخ اليوم، فهي تحتوي على خطاب رُوّج له سنة 1989، وهو الخطاب ذاته الذي يعمل البعض على إعادة انتاجه اليوم سنة 2019 بعد ثلاثين عاماً.

الملفت للانتباه كذلك هو حجم التضليل والمغالطة التي ترتكز عليها ورقات تأسيس المؤتمر القومي-الإسلامي، وهي ذات المغالطات والتضليل الذي يُمارَس اليوم لتمرير مشروع إعادة «رسكلة» «الإخوان المسلمون».

لتوضيح ما نقول نقتبس من الصفحة الرئيسية لموقع المؤتمر القومي-الإسلامي ما يلي:

"حدّدت اللجنة التحضيرية الهدف من عقد المؤتمر في الرسالة التي أرفقت بها جدول أعمال المؤتمر. فقد أكّدت أن المؤتمر القومي-الإسلامي يأتي استجابة لتحديات المرحلة الراهنة من تاريخ الأمة التي تحدق بها الأخطار، مستذكرة جهاد قوى النهضة التي واجهت الهجمة الاستعمارية وبلورت من خلال جهادها أهدافها في التحرر والاستقلال، والوحدة، وسيادة الديمقر اطيـة والشـورى، والكفايـة والعـدل، والتجـدد الحضــاري٬٬

"لقد عملت قوى الخير - منذ ندوة الحوار القومي-الديني - على وضع حدٍ لكثير من الخلافات الفكرية والسياسية المفتعل بعضها بينهما، وإيجاد صيغة تعاون لتنفيذ برنآمج محدد يعالج الأزّمة المستحكمة في أوضاعنا العربية والاسلامية



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

وذلك من خلال تعاون التيارين القومي والإسلامي لحشد طاقات الأمة لتحقيق مشروعها الحضاري في تحرير فلسطين والأراضي العربيـة المحتلـة، وتحقيـق الوحـدة، وتقويـة الروابـط العربيـة بالدائـرة الاسـلامية، وسـيادة الديمقر اطيـة والشوري واحترام حقوق الانسان وصولاً إلى تنمية مستقلة معتمدة على الذات، ومرتكزة على العدل الاجتماعي ".

#### انتهى الاقتباس.

من الجِدير بالذكر أن مهندسي المؤتمر القومي-الإسلامي، شأنهم شأن دعاة إحياء التجالف القومي-الإسلامي اليوم إستناداً إلى قراءة مغلوطة لمفهُّوم "الكتلة التاريُّخية"، يعمَّدون إلى القفز فوق الواقع قفزاً عشوائياً أعمى، فبلا يذكرِرونَ أن السر خلف صراعات الماضي بين القوميين والإسلاميين التي يريدون تجاوزها خلال الحقبة الناصرية مثلا هو وقـوف الإخـوان فـي وجــه الثـورة وتبنيهـم لخيـارات ليبراليــة مناهضــة للاشــتراكية كمــا أنّهـم لا يأتــون علــي ذكــر حملــة التكفير التي أطلقها الإخوان ضدّ ثورة يوليو الناصرية وتجنيدهم لشباب الأمـة ليتحوّلوا إلى خنجر في خاصـرة الأمـة. وحتى لمّـا كانـت الحكومِـة المِصريـة تتفـاوض مـع الإنجليـز سـنة 1954علـي الجـلاء عـن قنـاة السـويس كان الإخـوان يعقدون اجتماعاتٍ سريّة مع أعضاء السفارة البريطانية لدعوتهم للتفاوض معهم باعتبار هم قادرين على اعتلاء السلطة مستقبلاً (رغم فشل محاولتهم اغتيال الرئيس جمال عبدِ الناصر في حادثة المنشيّة)، وفي تلك الظروف أثناء معارك تحريـر قنـاة السـويس أرسـل جمـال عبـد الناصـر خطابـاً سُـئِل مـن خلالـه المرشـد الْعـام للإخـوان فـي مصـر: "مـا هـو موقفكم من الحرب في القدال؟"، بمعنِى دعوتهم للمشاركة في المعارك فكانتِ إجابته: "نحِن والله دعوة واسعة وأنتم في مصر هنا قد تكون مصلحتكم أنكم تحاربون في القنال ونصن نرى أنّ المصلحة أن نصارب في بلد آخر".

وتعقيباً على موقف الإخوان في مصر في تلك الفترة الحرجة من الحرب في القنال وعلى موقفهم ومدى استعدادهم للمشاركة وتجنيد مناصريهم إِلــــي المِشــاركة فــي المعـارك واعتبــاِر حالهـم علــي لســان مرشــدهم العــام أنهـم غيــر معنييــنَ بهذه الحرب وأنّ حربهم في أماكن أخرى، فإنّ هذا يدل، أو بالأحرى يفنّد، فكرة "الكتلة التاريخية" بالشكل المطروح مع الإخونج من طرف من يستدلون بما حدث في الحرب العالمية الثانية حيث تحالِّف الاتحاد السوفييتي مع الغرب الإمبريالي أمحاربة الفاشية والنازية، فالإخوان حتى في فترة الحرب الحرجة جدّاً، وفي هذا الظرف المشّابه لما يستعمله البعض لتسويق الطِرح الجابري للكتلة التاريخية، فإن الإخوان رفضوا ولم يقبلوا التحالف من أجل حرب وطنية تندور رحاها على أرض الوطن وليست حرباً عالمية ثانية! فكيف يمكن الوثوق بهم في كتلة وطنية؟!

كذلك لا تناقش الورقة السر الذي يقف خلف معاداة الإخوان الشرسة للأنظمة ذات السمة أو الإرث القومي والاشتراكي حصراً – ليبياً، سورية، الجزائرِ، مصر، العراق، اليمن..- بينما نجد أن صراعهم مُعُ الْأَنظُمُـةُ المُلكيَّةُ والرجُّعيـةُ يأخُـذُ منحَّى تصالحيـاً أقـل حـدةً ودمويـة، بـل نراهـم متناغميـن أو مندمجيـن أو متحالفيـن مـع منظومـات الحكـم فـي المملـكات والإمـارات مثـل المغـرب والأردن والكويـت وقطـر...!

لا بد ِ هنا من توضيح نقطة مهمّة، فبينما يحمل إسلاميو إيران برنامجا قومياً (فارسياً في المحصلة) معاديــاً لِلإمبرياليــة نجــد أن الإســلاميين فــي الوطــن العربــي يتبنّــون خيــارات ليبراليــة متماهيــة مــع الإمبرياليــة، لا بـل أنهـم تحولـوا إلـي أداة فـي يـد العـدو الصهيو-أمريكـي لتصفيـة التجـارب الوحدويـة الصاعـدة فـي المنطقـة.

فالموقف من الإسلاميين في بلادنا لا ينبع من عداء القوميين العرب للإسلام كما يروّج الإخوان، بل هـو موقـف يتحـدد بمـدى تقـارب هـذا التيـار أو ذاك أو تباعـده عـن الإمبرياليـة بغـض النظـر عـن الأيديولوجيـا.

الموقف من الإسلاميين ليس واحداً، بـل هـو محكـوم بخيـارات هـذا الطـرف الإسـلامي أو ذاك، بينمـا نجـد أن الموقف القومي المبدئي من التيارات الليبرالية في الوطن العربي هو واحد بالضرورة، وهو ضرورة التصدي لهذه التيــارات ولخياراتهــا مجتمعــة لأنهــا خلقـت مــن رحــم الإمبرياليــة ولأن خياراتهــا لا يمكـن إلا أن تكــون تابعــة للإمبرياليــة وأن تكون مناهضة لأي نزعة تحررية منحازة للطبقات الشعبية، فيما يمثل الاختراق الليبرالي للفكر القومي، كما نجد عند الكثير من دعاة "القومية الجديدة" من أمثال عزمي بشارة، انحرافاً واضحاً عن الخط القومي.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

وكدليل على انفتاحنا كقوميين جذريين وأننا نتبنى طرحاً ثورياً ذا نفس تجديدي لا يسعى إلى تهميش وإقصاء كل من يخالفناً في الأيديولوجيا نورد هذه الفقرة من الجزء الثاني من كتاب "مشروعنا" الذي أصدرته لائحة القومي العربي:

"المشروع القومي هو بالأساس مشروع سياسي لأنه مشروع نهضة ووحدة وتحرير، فهو لا يستبعد أبداً إمكانية وجود تأويلات إسلامية متنورة وثورية، أو ماركسية - متنورة وثورية أيضاً، لا بل لا يستبعد وجود تأويلات أخرى له قد تتنوع بتنوع الشرائح المعنية بالتغيير الحقيقي في المجتمع العربي. وما دام الهدف هو النهوض والوحدة والتحرير، فأهلا بكل تلك التأويلات..."

إذاً لا مشكلة لدينا في التحالف مع تيارات سياسية من خلفيات أيديولوجية متنوعة، ولكن مشكلتنا مع الإخوان المسلمين كتيار ليست أيديولوجية بقدر ما هي بسبب خيارات جماعة الإخوان التي تضعهم في خانة الخونة والعمالاء، فهل يستقيم أن يتحالف من يتبنون خط المقاومة مع من يتموضعون في خندق العمالة؟

ووصفنا لجماعة الإخوان بأنها جماعة خائنة ليس تجنياً ولا هو مجرد كلام مرسل، أفلا يكفي مثلاً أن يصر نواب حركة النهضة الإخوانية في تونس على إسقاط الفصل 27 من الدستور التونسي الذي يجرّم التطبيع مع العدو الصهيوني حتى نصنف حركة النهضة بأنها حركة مشبوهة؟!

ألا يكفي أن يحل زعيمها راشد الغنوشي ضيفاً شرفياً على منظمة "الأيباك" الصهيونية في أكثر من مناسبة وهو عضو المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي ـ الإسلامي؟!

ألا يكفي أن يستمر إخوان مصر في التطبيع بعد وصولهم للحكم في مصر حيث أنهم لم يقوموا بقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني ولم يقوموا بإلغاء اتفاقية كامب دايفد بل أن الرئيس الإخونجي محمد مرسي أرسل رسالة إلى شمعون بيريز يتمنى فيها الرخاء لكلا الشعبين؟!

ألا يكفى أن تستقبل المشافى الصهيونية مقاتلي جبهة النصرة حتى نعتبر هم خونة وصهاينة؟!

ألا يكفي أن تعدل حماس بوصلتها صوب قطر المطبعة وتقطع علاقتها بسورية المقاومة حتى نتهمها بالانحراف عن نهج المقاومة؟!

ألا يكفي أن يرفع قادة حماس في قطاع غزة علم الانتداب الفرنسي بدل علم الجمهورية العربية السورية حتى نتهمهم بخيانة نهج المقاومة؟!

ألإ يكفي ما حصل في معارك مخيم اليرموك حتى نوقن بأن الإسلاميين تحولوا إلى خنجر في خاصرة الأمة العربية وأنهم غدروا بسورية؟!

ألا يكفى إفتاؤهم بضرورة القتال تحت راية الناتو في ليبيا وسورية؟!

حين يراد إعادة بعث الروح في المشروع الإخونجي من رحم الكتلة التاريخية نتساءل:

عن أي كتلة تاريخية يتحدث بعض "المثقفين" العرب؟ وأي كتلة يمكن أن تجمعنا كمقاومين بتيار أقل ما يمكن أن نصفه به هو أنه تحول إلى كتلة من العمالة والخيانة؟

أي نظرية يستند إليها بعض المثقفين العرب لتبرير تحالفات انتهازية بين قوى تسمي نفسها قومية ويسارية وبين قوى سلفية إخونجية معادية لكل القيم التي يتبناها القوميون واليساريون؟ وأي طرح لا عقلاني هذا الذي يربط بين الكتلة التاريخية الغرامشية وواقعها الإيطاليّ من جهة، وبين الواقع العربي الراهن من جهةٍ ثانية؟!



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد



إذا كان البعض يروج لضرورة احتواء حركة ''الإخوان المسلمون'' والتأسيس لتحالف قومي-إسلامي، فواجبنا وأخلاقنا النضالية تحتم علينا التصدي لمحاولة خلط الأوراق بعد أن فرزها الربيع العبري بوضوح.

وحين يحاول البعض تطهير الإخوان استناداً إلى الفكر اليساري وكتابات غرامشي، فواجبنا أن ندين الإخوان استناداً الى القيم الإسلامية السمحة التي ترفض الخيانة وتنبذ الاستقواء بالأجنبي وتحرم العمالة لأعداء الأمة.

تسع سنوات مرت على رحيل محمد عابد الجابري، ولكنه خلّف لنا طرحاً يشبه حصان طروادة.

يمكن لمن يقرأ التاريخ قراءة عابرة أن يرى بعينه المجردة أن تيارات الإسلام السياسي لا تجلس على طاولة الحوار إلا متى منيت بهزيمة أو متى تراجعت، وبعد كل حرب يخوضها الإسلام السياسي يسعى من خلالها لقبر المشروع القومي العربي يمنى فيها بالقشل تتصاعد أصوات تدعو لتصالح ما يسمى بتيارات الهوية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر لا يمكننا نسيان كيف قادت نشوة انتصار إخوان مصر حركة حماس وقادتها إلى نفض يدهم من الجمهورية العربية السورية التي احتضنتهم وسلحتهم لعقود.

ولمن يتهمنا بالقسوة والجمود في الموقف السياسي من الإخوان، نقول لا بأس من أن نكون أكثر مرونة. قبل الحديث عن تحالف أو حوار قومي-إسلامي وتحديداً مع الإخوان بكل تفريعاتهم وتلويناتهم نحن بحاجة إلى سماع إعلان توبة هذا التيار وتقديمه مراجعة نقدية لممارساته، عندها فقط يمكن أن نفكر. أقول نفكر، في الجدوى من إطلاق حوار قومي-إسلامي يكون الإخوان أحد أطرافه.

إن الجمع بين تيارات سياسية تحمل مشاريع متناقضة ولا يمكن لأي منها أن يقوم إلا على أنقاض الأخر هو محض هراء على افتراض سلامة نية من يدعو للجمع، فالعلاقة الطبيعية بين أنصار المقاومة وأعدائها هو الصراع، وهو صراح تناحري لأنه يعيق طريق المقاومين باعتباره خط الدفاع الأول للإمبريالية.

فعوضاً عن خلط الأوراق بعد عملية الفرز التي أنتجها "الربيع العربي" والذي فصل الإسلاميين الرجعين عن الإسلاميين الحاملين للواء المقاومة والمعادين للإمبريالية، والقوميين الجذريين عن قوميي الناتو الذين صفقوا لما أسموه "ثورات عربية" في ليبيا وتونس ومصر واليمن وسورية، وفصل اليسار الجذري المقاوم للإمبريالية عن اليسار الفرانكوفوني الليبرالي المهادن للغرب الإمبريالي والمتماهي مع ما يسمونه "ثورات الربيع العربي الديمقراطية"، فعوضاً عن العدول عن هذا الفرز والعودة الى نقطة الصفر لخلط الوطنيين والانتهازيين في خندق واحدٍ بعد أن قضى الإمبرياليون وطرهم من الانتهازيين، يعمل البعض على إعادة التيار الذي يحمل بذور الخيائة في جيناته إلى الخندة التررية والوحدوية والنهضوية...

إن مثل هذا الخلط للأوراق بالنسبة لنا كقوميين عرب وانطلاقاً من بوصلة مصلحة الأمة العربية نراه مضيعة لوقت لا نملكه ونعتبره خطوة للوراء وخسارة جسيمة للمسار الثوري.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

بالإضافة إلى أن التناقض بين القوميين واليساريين من جهة، والتيار الليبرالي والإسلامي من جهة أخرى، إنما هو تناقض جو هري وليس مجرد اختلاف فكري أو إيديولوجي لأن الفرز جاء في صلب كل تيار فكري على حدة وهو فرز بين الوطني وغير الوطني داخل كل تيار، بين المقاومين للإمبريالية والمطبّعين مع المشاريع السياسية الامبريالية.

ومواجهة الواقع العربي المأزوم لا يكون عبر التحالف مع أحد أسباب الأزمة، ولا يمكننا إلا أن نتعامل مع دعوات الانفتاح على الإخوان على أنها محاولة اختراق مغلفة بدعوى الانفتاح.

الكتلة المضادة: هل هي تاريخية؟

بشار شخاترة

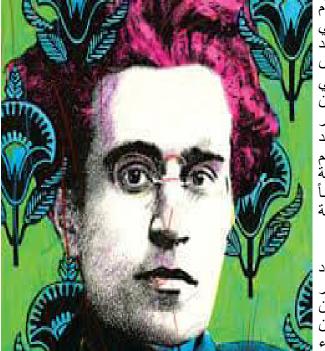
لقي مصطلح الكتلة التاريخية الذي نادى به المفكر الإيطالي غرامشي اهتماماً بين عدد من المفكرين العرب منذ تبنى المفكر الراحل محمد عابد الجابري هذا المفهوم في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، ومن ثم تلقفه مركز دراسات الوحدة العربية ومن ثم انتقلت العدوى إلى المؤتمر القومي العربي، وأصبح هذا المصطلح تظاهرة فكرية وثقافية وبات يروج له على أنه الترياق الذي ينقذ الأمة العربية من دائها، وآخر التظاهرات التي احتفت فيه كان في مؤسسة محمد عابد الجابري مؤخراً بعنوان "الحاجة إلى الكتلة التاريخية" جمعت فيها عدداً من الباحثين والمهتمين بالشأن القومي.

وفيما يبدو تواطؤاً من لدن المتحمسين لقيام الكتلة التاريخية، تحركت الأقلام العربية تخطملامح تلك الكتلة المزعومة، مستندة إلى كتلة غرامشي ولكن بتصرف، بحيث يجد المدقق - في بنية وأهداف ووظيفة وظروف كتلة غرامشي التاريخية وكتلة الجابري وصحبه – بوناً شاسعاً لا تتسع له المسافة بين الأرض والشمس، وينطوي المفهوم (الجابري – العربي) على تلفيق لمفهوم الكتلة التاريخية وإسقاط للمصطلحات في غير مواضعها، كما ينطوي على حالة رغائبية وظفت الكتلة التاريخية وإسقاط للمصطلحات في غير مواضعها، كما ينطوي على حالة رغائبية وظفت الكتلة التاريخية - كمفهوم ثقافي اجتماعي مستند إلى حالة تنظير فكري واستنباط من واقع سياسي تاريخي معين أخرج هذا المفهوم إلى حيز الوجود – في سياق مختلف تماماً أشبه بالصيغ التحالفية البدائية أو بالأحرى اجترار لموروث بدوي في اللاوعي لدى منظري تلك الفكرة ما يعرف بالعامية بـ "فزعة عرب".

إن ما طرحه غرامشي ارتكز إلى بناء هيمنة ثقافية مضادة تتمثلها الطليعة الثورية في مواجهة هيمنة ثقافية سائدة الخذة بالاعتبار الواقع التاريخي الراهن محللة قواه الفاعلة، والقوى الطليعية التي تتألف ابتداء من المثقفين ومن ثم تصبح وظيفتهم كسر الغلاف الثقافي السائد والولوج إلى المجتمع بثقافة مضادة وتأطير القوى من خلفها بحيث تصبح تلك البنية الفاعلة هي ما يطلق عليها الكتلة التاريخية، علاوة على أن السياق الذي ولد فيه مفهوم الكتلة التاريخية كان في إطار المحافظة على الوحدة القومية لإيطاليا في مواجهة بنى اجتماعية رجعية ومتخلفة اقتصادياً وثقافياً في الجنوب الإيطالي بالقياس على الشمال الصناعي والذي تميز بفرز طبقي ومع مراعاة أن كل تلك التكوينات كانت تستظل بحكم الفاشية الإيطالية في حينها، ومع ملاحظة أن كتلة غرامشي التاريخية سارت في مسار مغاير للتنظير الماركسي المرتكز إلى الصراع الطبقي، ونضيف أنها ملتبسة من ناحية التطبيق العملي لكنها تبقى بعيدة عما تبناه بعض المثقفين العرب.

أما النسخة العربية لمفهوم الكتلة التاريخية فإنها حاولت أن تسير على خطى مبتكرها لكن بالانطلاق من الواقع العربي، وفهم وتحليل هذا الواقع وتقرر سلفاً حتميتين: الأولى، أن الحل يكمن بقيام الكتلة التاريخية، والثانية، بعجز أي تنظيم أو حزب منفرداً في الواقع العربي عن القيام بمهمة النهوض والوحدة العربية، هذا مع إجماع من تبنى الفكرة ابتداءً على الحاجة الماسة للوحدة العربية كون واقعنا العربي متردياً بسبب غياب الوحدة العربية، وعلى ما يبدو أن هذه الجزئية هي الوحيدة الصحيحة من كل تنظيرهم في هذا المجال، وما عداه عبارة عن تركيب وإسقاط وأحياناً تلفيق لا ينسجم مع منطق الأمور وحتى مع الواقع ذاته.





فمجمل ما أثـاره الجابـري ومـن أتـي بعده يتلخـص بضـرورة قيـام الكتلة التاريخية بصيغة تجتمع فيها القوى العربية الفاعلة في الواقع العربي والتي لها وجوَّدٌ حقيقيٌ والتي تتفق علي الحدّ الأدنى من الثوابت وأهمها التي ذكرناها هنا ضرورة قيام تكتل في مواجهـة قـوي الهيمنـة، بحيث يجتمـع كل مـن لـه مصلحـة فـي ذلك، من قوى قوميـة ويسـارية وإسـلامية وليبراليـة وطنيـة ومـن الطلبة إلى العمال إلى الفلاحين إلى المثقفين إلى بعض عناصر السلطة في الوطن العربي التي تقف مع التغيير إلى المساجد والمصلين كما يقول الجابري، فالوصول لهؤلاء جميعاً وجمعهم على فكرة كسر الهيمنة الاجنبية كقاسم مشترك يشكل البنية الاجتماعيـة للكتلـة التاريخيـة العربيـة، وعلـى أن يعـذر بعضنـا بعضـا فيما اختلفنا عليه، ضمن هذه التوليفة تنهض الكتلة التاريخية العربية في مواجهة الهيمنة الإمبريالية.

إذا كان هذا الطرح لا يخلو من رغائبية واضحة ومثالية لا حدود لها فإنه بدرجة ما انتهازي يتستر خلف ستار براغماتي غيـر معلن، لأنه يتناقض مع الحالة العربية الراهنة، ولا ينم إلا عن تعام لتفاصيل هذه الحالة، فكيف يمكن أن تجمع عقائدياً بين عروبي وبين إسلامي، الأول يقيم الأمور على أساس الانتماء للعروبـة ووحـدة الأمـة العربيـة (مـع تأكيدنـا علـي العلاقـة العضويـة

بين العروبة والإسلام)، والثاني على أساس الانتماء للإسلام وتحت العنوان الإسلامي يندرج السؤال عن الطائفة، فإذا كنا مختلفين في تقييم جو هر التّناقضات في الواقع العربي، و إذا كنا مختلفين في المنطّلق ما بين الأمة (القومية) والدين فإن التباين يتسع إلى الحدود التي لا تجعل معها فرصاً للتقارب، وإذا جمعنا مع هؤلاء اليسار والليبر البين، فعن أي كتلة نتحدث نتيجة هذا التلفيق؟!

يصر المتحمسون للكتلة التاريخية على ضرورة أن يكون الإسلامويون من ضمن المكونات الرئيسية للكتلة التاريخية، ويقفزون عن التحالف الإمبريالي – الرجعي مع قوى الإسلام السياسي خلال العقد الأخير، هذا ناهيك عن التحالفات التاريخيـة لهـذه الحـركات مـع الإمبرياليـة العالميـة فـي مواجهـة التيـار القومـي وفـي مواجهـة العالـم الشـيوعي فـي القـرن الماضي، فعلى أي قاعدة من التحالف يريدنا عرابو الكتلة التاريخية أن نجتمع مع هؤلاء، هل على قاعدة الطائفية والفرز المذهبي، أم على قاعدة دار الاسلام ودار الكفر، لهذا فإن بنية هذه الكتلة مفككة ومفتقدة للقاسم المشترك.

على أن منظري هذه الكتلة يسوقون الأمثلة على تشكلها عبر مفاصل تاريخية سواء عربية أم غير عربية، فيعتبرون مثـلاً التحالـف بين الاتحـاد السوفييتي والرأسمالية الغربيـة في الحِـرب العالميـة الثانيـة نوعـاً من الكتلـة التاريخيـة في مواجهة النازية والفاشية، وكذلك يُعتبرون "الربيع العربي" نوعاً من الكتلة التاريخية انصهرت فيها قوى الشُعب في بو بوتقة واحدة مطالبة بالديموقر اطية والحرية، ويجتهد آخر بالقول أن عبدالناصر استطاع أن ينشئ هذه الكتلة فيما عُرف بتحالف قوى الشعب العامل... إن الأمثلة السابقة ليست إلا تلفيقاً وقفزاً عن قوانين الواقع وقوانين الصراع.

بدأ الجابـري بالتنظير للكتلـة التاريخيـة بتعريفهـا علـي أنهـا: ''كتلـة تجمـع فئـات عريضـة مـن المجتمـع حـول أهـداف واضحـة تتعلق أولاً بالتحرر من هيمنة الاستعمار والإمبريالية، السياسية والاقتصادية والفكرية، وتتعلق ثانياً بإقامة علاقات اجتماعية متوازنة يحكمها، إلى درجة كبيرة، التوزيع العادل للثروة في إطار مجهود متواصل للإنتياج. وبما أن مشكلة التنمية مرتبطة في الوطن العربي بقضية الوحدة، فإن هذه الكتلة التاريخية يجب أن تأخذ بعداً قومياً في جميع تنظير اتها وبرامجها ونضالاتها''، لتصل ورشـة العمـل الأخيـرة المنعقدة فـي مؤسسـة محمـد عابـد الجابـري إلـي ان الكتلـة التاريخيـة تنطلق من نقطة الإجماع على القضية الفلسطينية.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

على الرغم مما تمثله فاسطين في الوجدإن العربي من إجماع وما تمثله من حالة فرز إلا أن ما توصل إليه المنتدون في مؤسِّسة الجابري يعد تراجعاً عما بدأوا به منذ عقود ثلاثة، فحتى مشروع الوحدة العربية بقي ضبابياً في تضمينه ضمن أبجديات الكتلُّة التاريخية، ولا يشكل نقطة جامعة وحاسمة في حالة الأزَّمة العربية حسب نظرة الجابري وحسب الخلاصة التي توصلت لها الورشة المنعقدة مؤخراً في المغرب، مناهضة الهيمنة وإعادة التوزيع العادل للثروة هي أهداف مهمة في مشروع النهضة العربية، لكنه لا يخوض في الأساس البنيوي للتناقضات في الواقع العربي المتمثلة العربية، الكنه لا يخوض في الأساس البنيوي للتناقضات في الواقع العربية المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المعربية المتمثلة المتم بالتجزئة والتبعية والاستبداد والأجزاء المغتصبة ونضيف لها حالة التفكك التي أصابت النسيج الأجتماعي العربي بعد تفشى الطائفيـة.

النزعات الانتهازية مهما تدثرت بغطاء من القدسية والخطاب الجميل المنمق إلا أنها بالنهاية تبقى انتهازية ولا يمكن أن تصب في خدمة الامة، أو خدمة المشروع النهضوي، وإن الضجيج الذي ملئت بها الاجواء في اوساط المثقفين العرب، أو لنقل النَّخب، حول ضرورة الكتلة التاريخية تقف خلفها تحالفات تصبُّ في خانة هيمنة بعض القوى أو المثقفين على المشهد الثقافي في الوطن العربي، هذا من جانب. ومن جانب آخر، لا بدُّ من توضيح ملامح المعركة على صعيدً الثقافة وصعيد الأيديولوجيا، لنقول إن الإمبريالية العالمية وبحكم الخبرة المتراكمة لديها وبدافع من القدرة والإمكانات التي تملكها تعمل وبشكل حثيث على منع وتطويق وعرقلة المشروع العربي في الوحدة، وذلك بالنظر إلى أفأق الحل العربي الذي يتلمس طريقه عبر مسارين:

المسار الأول: الوحدة بالقوة (الحديد والنار) على النموذج إلبيسماركي الألماني يكون عماد هذا المسار الإولة القاعدة والجيش القوي، ولا يخفي أن خديعة «الربيع العربي» كانّ أول أهدافها ۖ تقويضُ الجيوش العربية الفاعلة و/أو ذات البعد العقائدي، وآخر سلاسل التآمر هو تركيز الهجمة على الجيش الجزائري، وكذلك استهداف الأقطار العربية قومية التوجه التي من الممكن أن تأخذ دور الإقليم-القاعدة.

المسار الثاني: مشروع الوحدة بالأيديولوجيا (المشروع العقائدي والتنظيمي الشامل) وعماده التنظيم القومي الشوري والنظرية العقائدية، وهذا فعلياً ما تراهن عليه الأجيال العربية، انبثاق التنظيم القومني المتسلح بالعقل والعلم والعقيدة القومية، الذي يعمل على المستوى التثقيفي ونشر الوعي وخلق هيمنة ثقافية أشبه بالتّي تحدثٌ عنها غرامشي ولكنها قومية الطابع لا تستند إلى تحالفات عابرة للأيديولوجيات أو إلى تنظيمات غير قومية.

فأين يقف مشروع «الكتلة التاريخية» العربي وفقا لهذا المسار في ظل الحصار الإمبريالي للوحدة العربية ومشروع النهضة العربية في العربية في العراق النهضة العربية أهم الجيوش العربية في العراق وسورية ليبيا واليمن، وحالياً الجزائر، وتستمر في اختراق الدول العربية المهمة كمصر، لهذا فهي بالتحالف مع الجماعات الإسلامية تنفذ خطتها في هذا المسار.

أما على المسار الثاني فإن الإمبريالية العالمية تدرك أن قوانين الصراع لا بد أن تفرض ذاتها، وأن إرادة التحرر والنهوض لدى الشباب العربي لا بد أن تنتصر وتنظم ذاتها وفقاً لعقيدتها القومية، من أجل هذا تعترض درب الشباب العربي المشاريع المضادة والمضللة يتبناها البعض قصدا والبعض يجري خلفها معتقدا انها الحل بحسن نية نظرا لطريقة إخراج هنده المشاريع وتسويقها، ومشروع الكتلة التاريخية مشروع اختراق وإجهاض للمشروع القومي الوحدوي، يراد منه استنزاف القوى الشبابية العربية واستهلاكها في مسارٍ مضلل، وحرف البوصلة عن الخط الصحيح، بما يشبه الاحتواء والتأطير للقوى العربية وإدارة مسارها واستهلاكها في تناقضات كتلة تاريخية فارغة مع قوى كثير منها يقف فى الصف الإمبريالي المعادي للعروبة.

إن مشروع الكتلة التاريخية يمكن وصف وبثقة أنه الكتلة المضادة للوحدة والتحرر وكسر الهيمنة لأنه على فرض سلامة النوايا فإن القوى القومية وجلها من الكادحين والفقراء في حال كانت ضمن هذه الكتلة بالتشارك مع الإسلامويين والليبر اليين فإنهم الحلقة الأضعف كون باقى القوتين تمتلكان المال والنفوذ وهذا مغزى تشكيل هذه الكتلة للهيمنة على العنصر القومي ومشروعه في إطار الكتلة التاريخية، على غرار ما يسمى الـ BDS كالتفاف على مشروعية تحرير فلسطين بمقاطعة بضائع الكيان الصهيوني ويصبح الهم مقاطعة البضائع والتعامي عن الاحتلال ويصبح أفق مقاومة الاحتلال بناءً على برنامج الـBDS و هو «الدولة الواحدة».

فمهما كانت الشعارات براقة ومضامين الكتلة التاريخية جميلة إلا أنه لطالما دُس السم في الدسم.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

### تحالف القوميين مع الإخوان. سذاجة أم ماذا؟!

## كريمة الروبى

تعيش الأمـة العربيـة واقعـاً مأزومـاً لا تخطئـه عيـن، مرحلـة انهيارِ وتفككِ وصراعات وٍاقتتالٍ داخلي وتبعية، يحتاج مُن الْجُمِيعِ الوِقوفُ صفاً واحداً وتجاوُّزٌ كُلُ الخلافاتُ لمواجهة كل هذه الأزمات.

وتجاوز الخلاف هنا يحتاج تحديدا مبدئيا للمعسكرات التي يقف في صفها كل فريق، وذلك بالنظر لنوع وشكّل الصراع، حِتى لا نقع في ذات الفخ القديم/ الحديث الذي عانينا كثيراً من تبعاته، بينما يصر عليه البعض، وهو اعتبار كافة التيارات وطنية ومخلصة وتسعى حقأ لإصلاح ونهضـة الأمـة، فنجـد أنفسـنا قـد سـخّرنا نضالنـا فى خدمة مجموعة من المنتفعين فى التيار الإسلامي الذين لا يترددون في تدمير أقطارنا خدمة لمصالحهم.

شخصياً، لم أكن أتخيل بعد كل ما مر بنا من تجربة خلال السنوات السبع الماضية، أظهرت بما لا يدع مجالاً للشك، أن هناك مدّعون كاذبون براجماتيون لديهم أستعداد دائم للاصطفاف مع معسكر العدو التاريخي للأمة -الكيان الصهيوني- لتدمير دول عربية بأكملها، لم أكن أتصور أن يأتي اليوم الذي نكون فيه مطالبين بالتحالف معهم لمواجهـة أزمـاتُ الأمــة!، مجـرد طـرح الفكـرة يثيـر

الكثير من العجب، ففي الوقت الذي وقف فيه القوميون وبعض اليسار الوطني في مواجهة محاولات تفتيت وتدمير الدول باسم «الحرية» و «(الديمقر اطية» على النمط الأمريكي والتي روج لها ما سميّ بـ«الربيع العربي»، كانت جماعة «الإخوان المسلمون» بكل ما لديها من قوة متحالفة مع الإمبريالية، بلكانت رأس حربة هذا المخطط التفتيتي، ثم يأتي من يقترح أن نعالج أزماتنا ونواجه مشكلاتنا ومصيرناً بالتحالف مع من دمرونا وأوصلونا لهذا الوضع المرزري. أيّ عقل يمكن أن يستوعب مثل هكذا طرح؟!

في البداية أكدنا أن علاج أزماتنا يحتاج أولاً لتحديد نوع وشكل الصراع، ونحن كقوميين عرب نرى أن الصراع في الأساس هو صراع ضد الإمبريالية التِّي تسعى للسيطرة على ثرواتنا والتحكم في ممراتنا وتحويلنا لمجرد تابعين، وبالتالي فنحن مع أي توجه وأية قوى تقف في وجه الإمبريالية، ولن نتحالف أبداً مع من ساعد الغرب يوماً في تُحقيق أَطماعه، وهذا موقف مبدئي غير قابل الجدل أو النقاش.

وقد أظهرت تيارات الإسلام السياسي وعلى رأسها جماعة «الإخوان»، أنها تقف دائماً صفاً واحداً مع الإمبريالية، وذلك منذ نشأتها (حيث تأسست حركة «الأخوان المسلمون» على يد حسن البنا بمنحة من شركة قناة السويس البريطانيـة عـام 1928 وخــلال الربـع قــرن التالــي بدعـم مـن الدبلوماسـيين البريطانييـن والمخابــرات البريطانيــة ـــ روبــرت دريفوس «لعبة الشيطان»)، مروراً بمواقفها المعادية دائماً لحركات التحرر الوطني، حيث وقفت ضد مصر في معركة العدوان الثلاثي عام 1956، وسجد أعضاؤها شكراً لله على هزيمة العرب في 1967، ثم اصطفت حركة «الإخوان المسلمون» مع الولأيات المتحدة الأمريكية في حربها ضد الاتحاد السوفيتي في أفغانستان والشيشان ويوغوسلافيا وأيـة معركـة تتفق مـع المصالح الأمِريكيـة، وليس انتهـاءً بدور هـا الرئيسـي كـر أس حربـة مشـروع تدميـر البلـدان والجيـوش العربية، وهو ما لم يصبح مآضِياً بعدٍ كي نجادلَ فيه، بل هو واقعٌ ما زلنا نعيش تفاصيله، فكيف يمكن الوثوق في مثل هذا التيار، واعتباره تياراً وطنياً والخلاف معه مجرد خلاف أيديولوجي يمكن تجاوزه؟!.





العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

هنـاك مـن يدّعـي أن الخلافـات معـه ظهـرت مـع (الربيـع العربـي)، لـذا يمكـن حلهـا وتجاوز هـا، والحِقيقـة أن الخـلاف قدِيـمٌ وجذريٌ وتاريخيٌ بين ما هو وطني قومي مخلُص صادق وبَين ما هو منتفع وغير وطني بـل وعميـل صريـح. أمـاً (ربيعهم العبـري) فلـم يكن أبـداً مجـرد نقطـة خـلاف عابـرة، بـل كان كاشـفاً بمـا لا يـدع مجـالاً للشـك لنوايـا هـذه الجماعـة، والتي تتعارض مع كل ما هو وطني.

قد يبدو للبعض أن قضية فلسطين ومعاداة الصهيونية هي نقطة التقاء يمكن البناء عليها للتحالف على أرضية قضية وعدو مشترك، ولكن الحقيقة أن تلك القضية بالذات تؤكُّد استحالة هذِّا التحالف. فظاهرياً وشعار اتياً، تقف جماعة "الإخوان" مع القضية الفلسطينية وضد الحركة الصهيونية، ولكن عملياً، هي تنفذ الأجندة الصهيونية بحذافير ها، من تدمير أبيبيًا وتشويه سمعة ومحاولة أستنزاف الجيش المصري إلى الحرب الكونية على سورية واستنزاف جيشها، أليس في ذلك أكبر خدمة للحركة الصهيونية؟ أم أن مجرد رفع شعارات نصرة القضية الفلسطينية كافٍ لوضعها في خاِنة النَّضال الحقيقي والمخلص ضد الصهيونية ؟. نعم هناكٍ حركات مسلحة في فلسطين تتبع جماعة "الإخوان"، إلا أنها تقاوم مقاومة مشروطة وتحت الوصاية القطّرية، وطبقاً لمصالح الجماعة وليّس القضية، وهي نفسها التي حاربت ضد الدولـة السـورية الِتـي أوت قادتهـا واحتضنتهـا مـن أجـل فلسـطين. ولعـل دخـول مثـل هـذه الفصائـل علـي خـط المقاومـة قـد أضىر بالقضية وأفقدها الكثير من قوتها، وذلك مقارنة بالحركات اليسارية والقومية حين كانت هي من تقود المقاومة ضد العدو الصهيوني.

كذلك، كيف تقف جماعة "الإخوان" ضد الصهيونية، وقد كان مؤيدوها يهللون ويكبرون لطائرات العدو الصهيوني و هي تقصِف أهدافًا سورية؟، وكيف يمكن التحالف معها ضد الولايات المِتحدة ممثلة المصالح الصهيونية وقائدة تدمير الأمة العربية- وهم لاجئون لدى الكونجرس الأمريكي يستجدون موقفاً يدعمهم، ويطالبون بعدوان أمريكي على سـورية؟، ألـم يمـلأوا الدنيـا ضجيجـاً وسـخطاً لأن الضربـة الأمريكيـة ضــد سـورية فـي نيســان/أبريل 2018 هـي مجـرد ضربة محدودة مطالبين بضربات أكثر عنفأ للقضاء عِلى الجيش العِربي السوري؟. سيطالب بعض المتحمسين لمثل هِذا التحالف بنسيان الماضي (والذي لم يصبح ماضيا بعد) متحججاً بوجود مراجعات لدى هذا التيار "المتامر"، إلا أننا لن ننسى الماضي، ولنَّ نُعُمى أعيننا عن خيانات الحاضر.

بعد هزيمة مشروع جماعة "الإخوان" وفشلهم في القضاء على آخر معاقل القومِية العربية – العدو المشترك بينهم وبين الاستعمار الغربي- يخرج عِلينا مِن يطرح فكرة تحالف القوميين معهم، ولا أدري إن كان هنـاك قومـي عاقل يقبلُ بمجرد طرح الفكرة، وَإن كنـت أعتقـد أن هنــاك مدّعيـن للقوميــة يلعبـون دور حصــان طـروادة يتسـلل مـن خلالــه عناصــر وأفكار ''الإخوان'' داخل التيار القومي لإفساده وسرقة نضاله خدمة لمشروعه.

في سنوات الجامعة، كان لي رفاق قوميون (ناصريون) وقد ظلوا كذلك لسنوات حتى جاءت أحداث 25 يناير 2011، حيّث بدأت تتسلل إليهم أفكارٌ لربط القومية العربية بالحركات الإسلامية (تيار قومي إسلامي)، ومع الوقت تحول هؤلاء الرفاق إلى عناصر إخوانية تهاجم القومية والتجربة الناصرية، وتساند وتدعم مرشح "الإخوان" محمد مرسي في انتخابات الرئاسة المصرية، ومنهم من أصبح مؤيداً لـ "داعش". وعليك عزيزي القارئ أن تتخيل ما يمكن أن يحلّ بالتَّبار القومى وبالأمة العربية كلها حال تحالف القوميين والإسلاميين (لإصلاح حال الأمة).

إن من يأملون في جدوى التحالف مع تيـار أدمن التأمر والغدر والخيانـة والوقوف دائمـاً في معسكر أعداء الأمـة، ليس لُدِّيهِمُ الْقَدرةُ عَلَىَّ قراءُة الواقع. إن التَّحالُفُ الذيّ يمكنُ أنْ نتجاوزٌ فيه عنْ أيَّهُ خلافات هو التحالف القائم على أرضيةً الصراع مع الإمبريالية، وأي تقاطع لأي تيار مع المصالح الغربية كفيلٌ بخروجه من دائرة أي تحالف، وإلا سنتحول لمجموعية من الحمقى يشعِّلون أجسادهم لإنـارة الطّريـق أمِـام الغَـرَب لتنفيـذ أهدَّافُـه، ونحـن لسّنا كذَّلك ولا يمكّن لعاقل أنّ يقبل بذلك. يبدو أن هذه الأمة مبتلاة بمثقفين يتصورون أنهم يعرفون أكثر من الشعب العادي، والحقيقة أن هذا الشِعب الذي يتهمونه بالجهل، قد حسم موقفه من جماعة "الإخوان" واعتبرها إرهابية لا يمكن الوَّثوق بها، وبفطرته أدرك أنها أول طريق التطرف الذي يودي في النهاية إلى "داعِش" وأخواتها. أما أنت عزيزي المثقف صاحب النظريات في كيفية صناعة تحالف بين كافة التيارات على اختلاف أيديولوجياتها، حتى وإن كان مشكوك في إخلاصها، فما عليك سـوى الاحتفـاظ بمثـل هـذه ِالأفكارِ لنفسـك، وتتركنـا نواجـه ونناضـل ونصـارع ضـد التيـار متسـلحِين بانتمائنـا العروبـي، وبوصلتنا التي تشير دائماً وأبدا باتجاه النضال ضد الإمبريالية، وتاريخنا الذي لم يتلوث يوما بخدمة مصالح أعداء



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

### التسلل الإخونجي.. من باب "المصالحة" و"طي صفحة الربيع"

#### السيد شيل

من المؤسف جداً أن تتسرب إلى نواح من المعسكر الذي صار لـه ثمانيــة أعــوام يصـــارع الإخونــج، بُمــا مِثلــوه كـِـرأس حربــةٍ لمشـروع الهـدم والتخريـب والتفكيـك، لغـة ناعمــة ومتصالحــة معهم، وقد تدفع نحـو إعـادة اسـتيعابهم واحتضانهم، وكأن شـيئاً لم يكن، وكأن "آلربيع" كان محض زوبعة في فنجان، ويمكن طُي صفحة تلك التجربة، التي كانت أشد التهديدات للأقطار العربية وحداثتها ووحدتها الداخلية، بسهولة!

الحقيقة أن هذا الأمر ليس خيانة للتضحيات الكثيرة التي تم بذلها على مدار الأعوام الماضية فحسب، بل فيه أيضاً فيه شيءٌ من الحماقية بالنظر للمصلحة العربية تحديداً. والإخونج لم يشكلوا جماعـة ضـارةً في سياق ''الربيـع'' فحسب، بـل تخريبهـم أقدم مـن ذلك بكثير، وانظروا للجهة التي مثّلت أحد ألدٌ خصوم تجارب التحرر الوطني في مصر وليبياً وسورية والعراق والجزائر، بالخمسينيات والستينيات والحقاً، وانظروا لدور هم التاريخي في أَفْغَانِسْتَانَ أَو الْقُوقَازَ أَو يُوغُوسُـلافَيا أَو اليُّوم في ملف شينجيانج الصينية. وما حصل من الإخونج في سياق "الربيع" هو مكمّل

لمشروعهم التخريبي عامة.

بتركيرز الضوء أكثر قد يتضح أن هذه الدعوات لـ "التصالح"، غالباً ما تتسرب من هذا التوجه الذي يمزج الشعارات القومية

ببعض الأفكار الإسلاموية، وينتج مسخاً يسمّيه ''القومية الإسلامية''، ونقول مسخاً وليس خليطاً محموداً لأنه لا يستهدف توظيف التركة الحضاريـة الإسـلامية فـي خدمـة الوطـن العربـي وأهلـه، وإنمِـا يسـتهدف أخونـة التيـار القومـي، أو تذويـب ثوابته عبر هزِّها ودفع حاملها للخجل منها، أو في أشد درجاته انحطاطاً توظيف "القومية العربية" لخدمة "القومية التركية ومشاريع العثمانية الجديدة" أو تلبيس الأمور فيما يتعلق بالتدخل الغربي، وهذا من أخبث ما يكون، وقد اتضح هذا التوظيف والتلبيس في غياب الموقف الرافض سواء لعدوان الناتو على ليبيا أم للمؤامرة على سورية، أو ظهور هذا الرفض على خجل وباستحياء محشوراً كنوع من سد الخانة!. وأهم علامة يمكن أن تميّز مثل هذا التيار هي سعيه لعزل الخطاب القومي عن مشاريع التحرر بداية من جمال عبد الناصر وسيراً مع الزمن، أي أنه يحتال ليقول بـأن الخطاب القومي أقرب للشيء التجريدي المنفصل عن التجارب الوطنية التي حملت هم تحقيق الوحدة العربية والتنمية الاقتصادية وتحديث البُني المجتمعية. إلخ، وهدفه الأساسي من ذلك هو تحاشي التورط في الصدام مع الإخوان، لأن التجارب القومية جميعها قد اصطدمت بالعناصر الإخوانية وعاقبتها على عمالتها وتطرفها وتخريبها في المجتمع.

وقد رصدت ذلك التوجه بناء على تجربة ذاتية مع الفصائل التي تزعم "القومية" والتي ذهبت للتحالف مع جماعة الإخوان في مصر، أنها كانت قد بدأت من الهجوم على جمال عبد الناصر و''الناصرية'' وشن الحرب على المصطلح، ثُم انتقات الهجوم على كل الأنظمة التي حكمت الجمهوريات العربية ما بعد التحرر من الاستعمار الأوروبي، ليبقى في النهاية الشعار "القومي" معلقًا في الفراغ، يمكن تطويعه لإحداث مثل هذا النوع من التحالف، أما بعض التيارات الأُخرى، فقد لجأت أيضاً إلى حيلة ''الوطنية الجامعة'' (بمعنى المظلة التي تشملِ الجميع وتتصالح مع الكل) لتنفي عن نفسها التعلُّق بعبد الناصر ، أو التحمُّس الكافي لـه، وبالتالَّي يصبح الطريق مُفتوحاً للتقاربُ مع الإخوانَ، الذينَ لا يعَّادون أحد بقِدر عدائهم لعبدالناصر، وليس فقط لأنه اصطدم بهم سيآسياً وسجنهم القضياء في زمنه، ولكن لأنه كان وطنياً حقيقياً وصاحب مشروع للتحرير والنهضة، لذا تجد الإخوان يحملون عداءً وافراً أيضاً للضابط الثائر/ أحمد عرابي، ويشنون الحرب عليه، رغم أن جماعتهم لم تكن قد تأسست في زمنه، وبالتالي لم يقمعهم الرجل!



من جهة أخرى، تشتبك إيران في هذا الملف التصالحي، وهذا يأتي من باب سياسة ''فصل الملفات'' التي تعتمدها، بمعني أنها تستطيع أن تفصل عداءها مع الإخوان في الملف السوري عن قربها منهم في ملف آخر، وكذلك يأتي من سعيها لتفكيك معسكر خصومها من الخليجيين الدائرين في فلك العمالة للأمريكي، و هي تنظر لدولة قطر حليفة الإخوان باعتبار ها مناكفاً جيَّداً أمام السعودية - مع العلم أن تلك المناكفة هي محض صراع عملاء بادارة أمريكية -، وعلى أساس تلك النظرة، فهي قد تقترب من جماعة الإخوان، وتحرض على إعادة دمجهم. كما لا يجب إغفال عمق التأثير الإخواني على أيديولوجية الثورة الإيرانية، وعُمق إسهام كتابات سيد قطب وأبو الإعلي المودوي وحسن البنا في تشكيل تِلك الأيديولوجية. لكنه أيضاً من الظلم إغفال أن ثمة عوامل أخرى ومتعددة شكلت عقلية الثورة الإيرانية، والتي منها العامل القومي الذي وضعها في خصومة مع القوى الدولية (=الغربية) التي تريد الهيمنة عليها، و هنـاك أيضـاً التأثيـرات والمناحـي الفِلسـفيـة العرفانيـة/الصوفيــة لـدي زُ عماء الثورة، والتَّى حُجِّمت كثَّيراً من النزعة الرجعية للإسلام السياسي عامــة.

> المطلوب في الحقيقة هو إدراك طهران لكون التقارب مع المجتمع الذي ورث التسنن يكون بلفظ الإخونج وليس بالتعاطي

بإيجاب معهم، كذلك الخصومة مع آل سعود وكلاء الأمريكان، واللعب على ورقة تفكيك معسكر الأعداء لا يتطلب كل تلك الصداقة مع قطر التي بالنهاية تحوي أكبر قاعدة أمريكية بالمنطقة، والتي كانت رأس حربة المشروع الأمريكي في ليبيا وسورية، والداعمة لتنظيم القاعدة وفروعه وأشباهه حتى بمراحل معينة داخل إيران نفسها عبر دعم العناصر السلفية في محافظة سيستان وبلوشستان، بـل والمحرضـة الكبيـرة علـي العدوان علـي اليمـن فـي البدايـة.

ثم بتوسيع الرؤيـة يتبين أساسـاً أن النـاس العاديـة -سُنّة كانـوا أو شيعة، مسلمين أو مسيحيين أو غيـر ذلك- لا تفكـر بأحاديـة ومن ثقب الدين والمذهب، حتى يلزم التودد لجماعات 'الدين السياسي' التي يُتوهم أنها تمثّلهم! عموم الناس، بالحقيقة، أكثر واقعية وعقلانية وبراجماتية واعتدالاً مما يظن الكثيرون، حتى تدينهم يغلب عليه طابع صوفيً عابر لحواجز المذاهب وربما الأديان ذاتها، بما يعني أن مصلحة الناس السياسية والدنيوية هي الأولى. والحقيقة أن خيار وخطاب هوجو تشافيز وفيديل كاسترو لو تبناه المحور المقاوم فهو كافٍ جداً لكسب القلوب والعقول داخل الوطن العربي وخارجه، خاصة إن تم ضبطه في بعض النواحي لتجنب الصدام المباشر مع المشاعر الدينية الموروثة، وترك هذا الأمر للحِراك الثقافي.

من المهم هنـا (ومن المهم جداً) التأكيد علـي أن الهمّ الأساسـي للمواطـن العربـي لا يجب أن يكون العداء مع تلك الجماعـة أو تلك، بل العداء مع الحلف الصهيو أمريكي، والسعي لتحرير بلاده من منظومة النهب والهيمنة الغربية، وأن يكون اشتباكه مع هذا النوع من الجماعات بالنظر لحجم خدمتهم لهذا الحلف الغربي، أو بمقدار ما يعرقلون به مشاريع التحرر، أو بمدي إسهامهم في تفكيك المجتمع داخلياً عبر بث الأفكار الطائفية والرَّجعية. وهذا متحقق تماماً في جماعةً الإخوان، وحلفائهم من السلفيين، المتمثلين في "التيار السروري" الذي نجح في خلط عباءة محمد عبد الوهاب ببنطال سيد قطب، وقاد ما يسمى ب"الصحوة" (مسار رجعي بامتياز) في العديد من الأقطار العربية.

كذلك عليناً فِي الاشتِباك مع جماعة الإخوان أن نتسلح بميزان الذهب، فمن جهة لا يجب أن نسمح بإعادة دمجهم مرة أخرى، وأن نستفيّد من افتضاح عنفهم وجاهليتهم وتآمر هم، لنحاول إهالة التراب عليهم، ومن جهة ثانية لا يجب أن نجعل هذا الأمر مركزياً بالشكل الذي يشغلنا عن النضال ضد الإمبريالية والصهيونية،



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

كما تفعِل بعض التيارات الليبراليـة أو المتلبرلـة بخلفيـات قوميـة أو يسـارية، التـي تتخـذ مـن العـداء مـع القـوى الرجعيـة مسـوغاً لأن تقبـل بتهميـش الخصومــة المركزيــة مـع الصهيو أمريكــي، وإن كانــت التيــار ات الليبر اليــة الجديــدة، وبحسـب التوجيهات الغربية، قد صارت على استعداد للتحالف مع قوى الدين السياسي، وإيجاد صيغ مشتركة للعمل، وهو ما صار واضحاً تماماً في السنوات الأخيرة.

كما من المفيد جداً فِي الصدام مع قوى "الدين السياسي" التي انتهجت نهجاً عميلاً: -1 الاستفادة من تركة اليسار الماركسِي المِلتزم بالقضية الوطنية والنظرة الموضوعية للتراث، حيث يحسب لبعض نخب هذا التيار انها خاضت سجالاً فكرياً مع تلك القوى، وأكملت الفراغ النظري لدى غيرها، وعالجت بذور التقايدية الساكنة في المجتمع، وفككت بـ(ماديّتهـا) و(جدليّتهـا) الأسس التـي حاولت تلـك القوى الرجعيـة البنـاء عليهـا، واصطدمت بعنـف وجـر أة بالتيـار ات الدينية، - 2 العمل على صعيدٍ موازٍ بغرض إطلاق قطار القراءات العقلانية والتنويرية والتحررية والوطنية للدين ذاته، والتحريض على تعدد التفاسير/الاستنتاجات الفقهيـة وحمايـة أصحابهـا، وهنـا يكـون الأمـر فيمـا يشبه الثـورة الداخليـة، أي في داخلِ الدين ذاته يُولد الجدل، وهذا الأمر مفيد جداً خاصة في الحالة العربية في وضعها الحالي. ولا نعتقد أن ثمة تعار ضاً، بل سيتحقق نـوع مـن التكامـل بيـن المسـارين: المـادي الضاغـط مـن الخـارج، والثـوري الباعـث علـي الجـدل وتعـدد النظرات والتفسيرات من الداخل.

### منبر حر: الكتلة الحرجة/التاريخية وتأويل غرامشي عربياً

# توفيق شومر

إشكاليات المرحلـة الحاليـة معقدة بدرجـة يتحـول معهـا تحديـد المواقف الثوريـة مـن الإصلاحيـة والمراوغـة إلـي موضـوع شائك لدي البعض. و عليه قد يكون من المهم ابتداءً أن يتم تحديد المواقف الثوريـة لكـي يتـم إدراك المواقف غيـر الثوريـة مما يقال عنه بأنه ''مواقف ثورية''. الموقف الثوري هو الموقف الذي يمكنه أن يحمل التغيير للمجتمع على قاعدة فكر ثوري يتجاوز البناءات الفكرية الموجودة في البنية الاجتماعية القائمة إلى بنية اجتماعية جديدة.

وهنا تنبع الاشكاليات: أولاً: البنية الاجتماعية اليوم في الواقع العربي هي بنية مترافقة مع "نم ط الإنتاج الكولونيالي" أي أن هذه البنية في تركيبتها هي بنية تابعة للبنية الرأسمالية. وبالتالي لا يمكن من حيث المبدأ أن يتم تطبيق ما يصلح على البني الرأسمالية على هذه البنية التابعة، إلا بعد أن يتم تحديد طبيعة نمط الإنتاج وما ينتج عن هذا النمط من الإنتاج من بنية اجتماعية ومن بناءات فكرية مرافقة. فالكثير من البناءات الفكرية قد تكون في الواقع منتج مرافق مهمته تأبيد سيطرة الطبقة الكولونيالية التابعة على الحكم من منطلق تأبيد التبعية للمراكز الرأسمالية تحت شعارات "التنمية" والتمثّل بـ المراكز" كمثّال ناجح على التطور. (بما يعرف ب المسار الطبيعي" لتطور المجتمعات). وبالتالي يصبح هم التغيير ضمن هذا الفهم هو كيفية تمثل ألبنية التابعة بالبنية الاجتماعية للمراكز.

ثانيـاً: فـي البنيـة الرأسـمالية تمثـل الأفـكار المختلفـة الطبقـات الاجتماعيـة التـي تخدمهـا، وذلـك مـن منطلـق وضـوح العلاقـة بين الفكر المنتج والطبقة الاجتماعية. وهذه لا يمكن أن تكون هي الحال في المجتمعات التابعة. ففي هذه المجتمعات تم تشويه الواقع الطّبقي إلى الحد الذي لم تعد هذه الطبقات معه فيّ الواقع متّماثلة مع دول المراكز. فَالطبقة البورجوازية المسيطرة هنّا هي طبقة لا تحكم مّن أجل مصالحها الطبقية داخل البنّية التابعة، ولأن مصالحها الاقتصادية مرتبطة أكثر مع المراكز بحكم كونها طبقة كولونيالية تابعة، وبالتالي فينتج عن هذا التشوه أنها تحكم من أجل مصالح المراكز الاقتصادية المرتبطة بها. وهنا تصبح الشريحة التي يمكن أن تصنّف على أنها شريحة ممثلة 'اللبورجوازية الوطنية' شـريحة محـدودة التأثيـر والموقـع الاقتصـادي. (يمكـن اسـتثناء شـريحة أكبـر وأكثـر تأثيـر فـي الـدول التـي تأخـذ مواقـف سياسية معاديـة للإمبرياليـة كمـا هـي الحـال فـيُ سـورية والجزائـِر، ولكـن لا بـد مـن الحذر هنّـا فكـون المواقف السياسـية معاديـة للإمبرياليـة لا يجعل هذه الـدول بمعـزل عـن أن تكـون متأثـرة بنمـط الإنتـاج الكولونيالـي. فهذا النمـط يتحـدد بمقـدار اعتماد اقتصاد الدول على المراكز الرأسمالية ومقدار كون "التصنيع" فيها مستقلاً فعلاً عن أن يكون وكيلاً أو تابعاً للرأسمالية في المراكز. وهذه القضية شائكة، على أهميتها، ولكن تحتاج إلى بحث مستقل ليس هنا موضعه).



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

ثالثاً: في هذه البنية الاجتماعية التابعة هناك الكثير من التطورات المشوهة، وبالتالي في حال المقارنة مع "النموذج المعياري" (أي مع التطورات التي حدثت في المجتمعات الغربية، مع ضرورة التأكيد هنا على وضعم بين هلالين لأنني لا أعتقد أنه نموذج معيـاري حقيقـة.) يتضـح أن هنـاك الكثيـر مـن الخطـوات المهمـة التـ تطبييق مفهوم المواطنة مجتمعياً وسياسياً. ففي الحالة الرأسمالية فإن تطبيق هذا المفهوم كان منوطأ بالثورة البورجوازية وفكرها الليبرالي. وعليه فمن الممكن للبعض أن تختلط عليه الأمور هنا وأن يقول بأن العمل نحو تطبيق مفهوم المواطنة هو مهمة يمكن أن يلتقي على أرضيتها الِثوري والليبرالي. وبالتالي فما المانع أن يتم بناءً "كتلة حرجة" (أو تاريخية) للوصول إلى تطبيق المواطنة بين اليسار والقوميين والليبراليين "الوطنيين" ولا ضير من ضم الإسلاميين. وهذا التفكير خطير ما لم يتم تحديد علاقة التحالف في هذه الحالات وتحديد من المستفيد بالفعل من هذا التحالف ولخدمة من. فِكم من الحالات التي شهدها وطننا ينطبق عليه القول "كلمة حق أريد بها باطل"!

ولكن في ظل هذا الواقع الإشكالي يصبح التغيير الثوري غير ممكن بدون بناء 'إلكتلة الحرجة/التاريخية"، وبالتالي فما هي المعايير، من المنظور الثوري، التي يمكن معها أن يتم التحالف مع القوى الموجودة في هذه البنية الاجتماعية لضمان تشكل "الكتلة الحرجة/التاريخية"؟ وهل هناك تمرحل تاريخي مهم يمكن أن يكون مطلوباً في بعض القضايا ليتم الوصول بالفعل إلى "كتلة تاريخية" ثورية يمكنها أن تصنع التغيير؟

قبل الخوض هنا بالحالة العربية، وما يتم نقاشه على الساحة العربية، لا بد من التعريج ولو بسرعة على مفهوم "الكتلة التاريخية" كما تم طرحه من قبل المفكر الايطالي غرامشي. لقد طرح غرامشي المفهوم ضمن مناقشات الحزب الاشتراكي في إيطاليا وبهدف التحول بالحزب لكي يصبح بالفعل حزباً ثورياً. ولكن المفهوم بحسب غرامشي مرتبط بتحالف طَبقي فعلى بين طبقات موجودة بالفعل أي بين طبقة العمال (في الشمال الإيطالي) وبين طبقة المزار عين الفقراء (في الجنوب) ويتم تحقيق هذا التحالف بالفعل من خلال الممارسة العملية للحزب الثوري ولمجموعة المثقفيين العضويينِ داخله للوصول مع العمال والمزارعيين الفقراء إلى تشكيل الكتلة التاريخية اللازمة للتغيير الثوري في إيطالياً، أي، وللتأكيد، المطلوب هو تحالف طبقي بين طبقات اجتماعية بقيادة ثورية متمثلة بالحزب الثوري ومثقفيه

ولكن ماذا على الصعيد العربي؟ لقد طرحت في أكثر من مقال سابقاً ضرورة تشكيل تحالف ثـوري بيـن القـوي الثورية على الساحة العربية وتضمّن تصنيفي لقوى من "اليسار والقوميين والإسلاميين" على أرضية الثوابت الثورية المتمثلة ب: 1) الوحدة العربية، 2) الديمقراطية (بمفهومها الثوري: أي الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى السياسية)، 3) المعاداة للإمبريالية والصهيونية (وبالتالي الإقرار بضرورة تحرير فلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة). فإذا مِأتِم التوافق بين هذه القوى على أرضية هذه الثوابت الثورية فذلك يمكن أن يوصل المجتمع إلى إمكانية الوصول إلى "كتلة تاريخية".

هنـا لا بـد مـن التوضيـح أكثـر. هـذا التحالـف هـو تحالـف بيـن قـوى ثوريـة وليـس بيـن طبقـات وشـرائح طبقيـة فـي المجتمـع ولكن هذه القوى إذا ميًّا كانـت بالفعل تحمل مثـل هـذه الثوابـت الثوريـة فهـي فـي الواقـع تمثـل الطبقآت والشـر آئح الطبقيّـة المتضررة من نهئج التبعية ومن السياسات الإمبريالية والصهيونية في الوطن العربي. وبهذا التوصيف فهي على المتضررة من نهج التبعية ومن السياسية مصالح محددة هي مصالح الطبقة الثورية التي من مصلحتها التغيير. وبالتالي فالتحالف يمكنه من حيث المبدأ أن يكون مرحلة ضرورية على طريق تحقيق التحالف الطبقي الحقيقي بين الطبقات والشربة المرادة المرادة التربية المرادة ال والشرائح الطبقيـة المعاديـة للتبعيـة والإمبرياليـة والـذي هـو مـا يمكنـه أن يحقـق «الكتلـة التاريخيـة».



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

وللتوضيح أيضاً لا بـد مـن القـول إن مـا يحـدد ثوريّــة حـزب أو تيــار ينبع من مواقفه مجتمعة وليس من موقف هنا وموقف مخالف هنـاك. وبِالتالي فـإن التحديد على الثوابت المذكورة أعـلاه ٍ هـو تحديد لا يفرز أنواع "الإسلام السياسي" فقط ولكن يفرز أيضاً كل القوى الأخرى اليسارية والقومية بنفس المعيار . فلا يمكن أن يكون موقف "الإخوان المسلمون" مقبولاً على أرضية المعاداة للصهيونية والانظمة التابعة وهم لا يعادون الإمبريالية فهذه القضية لا يمكن تجزئتها، فالأنظمة التابعة والصهيونية هما أشكال تواجد الإمبريالية في منطقتنا، وبالتالي فإن معاداة الإمبريالية هو الأصل وما معاداة الصهيونية والأنظمة التابعة إلا تمظهر للصراع مع الإمبريالية.



ولكن لا بد من الاستدراك هنا، فنحن نتحدث بشكل أساسى عن الفعل الثوري التغييري، ولكن في ظل عدم تحقق هذا التحالف الشوري كمرخلة مهمة على طريق تحقق الكتلة التاريخية فلا بد من أن يكون هناك فعل ثوري على الساحة يمكنه أن يحقق التغيير أو أن يُحقق التمرحل التأريخي الصروري لخلق الظروف الموضوعية المناسبة لتشكل الكتلة التاريخية المطلوبة. في ظل هذه الظّروف يمكن أن يتم التحالف لتحقيق مطلب ما في موقع ما من الوطن العربي. كأن يتم مثلاً التحالف مع قوى مختلفة (لا تتوافق

مع الثوابت الثَّوريـة) لتغيير المناهج الدراسّية، أو لنشرٍ فكرَ التنويرِ، أو لتغيير توجهـات اجتماعِيـة محددة. في هذه الحالـة لا بد من التوضيح: إن هذا التحالف ليس تحالفاً ثورياً وحتى ولو أن قوى ثورية كانت جزءاً منه، وهذا التحالف يمكنه أن يشكل "كتلة حَرجة" معينةٍ لتغيير محدود، ولكن لا يمكنه من حيث المبدأ أن يشكل "الكتلة التاريخية" المطلوبة للتغيير الثوري. كل ما هناك أنه تحالف مؤقت تكتيكي مرحلي يمكن التعامل معه كوسيلة لتحقيق تغيير جزئي قد يساهم في بناء الأرضية المناسبة التغيير الثوري.

في حالات الحراك الجماهيري في الساحات العربية المختلفة (ونخص بالذكر السودان) فإن تحديد العلاقة مع الحراك وتحديد الموقف من الحراك ينبع بشكل أساسي، من وجهة نظري وبأخذ التحليل السابق كأساس، من موقف هذه الحراكات من الثوابت الثورية، وبالتحديد من موقفها من الامبريالية والصهيونية. فكل حراك يطالب بتغيير الانظمة المحلية التابعة للإمبريالية دون أن يرفع وبكل وضوح شعار معاداة الإمبريالية كأساس لا يمكن من حيثِ المبدأ اعتباره يسعى للتغيير الثوري، فأي تغيير دون فك علاقة التبعية ودون معاداة الإمبريالية لا يمكنه أن يكون ثورياً، فهو في نهاية المطاف سيعيد إنتاج الأنظمة السابقة بثوب جديد.

هنا قد يكون من المهم التعريج على الدول العربية التي لا تدور في فلك الإمبريالية، مثل الجزائر، فعلى الرغم من القناعة الكاملة بأن هذه الأنظمة ليست جذرية بالمستوى المطلوب، وعلى الرغم من القناعة بوجود حالات من الفساد والمحسوبية، إلا أن الحراك لا بد أن يوضح وبشكل لا لبس فيه المفاصل التي يتم رفضها في النظام، وأي حراك لا يؤكد على معاداة الإمبريالية سيكون بالضرورة في هذه الحالة "ثورة مضادة" أو حالة نكوص وتراجع. فهذه الأنظمة على ما فيها من مشاكل تبقى شوكة في حلق الإمبريالية، وبالتالي فالهدف من التغيير يكون بتجذير مواقفها لا بتحويلها إلى أنظمة تابعة.

في الخاتمة أقول إن "الكتلة التاريخية" المطلوبة للتغيير هي تلك التي تحقق التغيير الثوري المبنى على الثوابت (الوجدة والديمقراطية ومعاداة الإمبريالية والصهيونية) وليست أي كتلة "حرجة" أُخرى لا يمكنها أن تحقق التغيير المطلوب أو أن تساهم في تحقيق التغيير.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

### غرامشى في السياق القومي الجذري

#### يحيى العطشان

يستحيلِ تصوّر انفعالِ منظمِ تنظيماً دائماً، إلا إذا أصبح تفكيراً عقلانياً هادفاً، ومن ثم لا يعود انفعالاً.

يقول ماركس إن الإفقار المتزايد للبروليتاريا يـؤول بالضـرورة إلى امتلاكها وعياً تُوريّاً، لكن يُضيفُ لينين إن التطوّر التلقائي للبروليتاريـا يقـود إلـي التريدونيــة [النزعــة النقابيــة الضيقـة]، وليـس إلى تشكيل طبقة ثوريّة، ومن هنّا المسألة الحاسمة التيّ أعطاها لينين للوعى في العملية الثورية وتأكيده على أنه يدخل من الخارج

لكـنْ ليسـت العلاقـة بيـن المثقـف والجمهـور علاقـة ميكانيكيــة ــأي أن يُقدّم المثقفون النظريــة والأيديولوجيــا لقاعــدة جماهيــر مــن غيــر المثقفيـن\_ حيث يقول لينيـن في كتابـه ''مـا العمـل'': ''فـي الحـزب الشوري تَمحى كافة الفروق بين العُمِال والمُثقفين". ويرتبط موقف لينين من قضية المثقفين ارتباط أوثيقاً بنظريته في الحزب الطليعي، وعندما كتب عن الحاجةِ إلى نقل الفكر الاشتراكي إلى الطبقة العاملة من خارجها كان يتطلُّع إلى القيام بهذه المهمَّة لا إلى الإنتاجنسيا (العاملين بالفكر) التقليدية، وإنما إلى الحزب الثوري ذاتـه الـذي يصيـر فيـه العمّـال والمثقفـون وحـدةً واحـدة مُتماسكة.



طوّر جرامشي هذا التصوّر اللينيني بربطه بقضايا الطبقة ككل - فالطبقة قادرة على أن تنمّي داخل صفوفها مثقفيها العضويين-، حيث أن لغرامشي نظرته الخاصة بدور المثقفين على أساس سوسيولوجي يحدد تعريف المُثقف بوظيفته ودوره بالنسبة للطبقة الاجتماعية، وهو ما أسماه بالمثقف العضوي [يحمل ثقاِفة بديلة للثقافة السائدة، ثقافة بديلة لقيمها ومفاهيمها ومؤسساتها وتقاليدها بكل ما للكلمة من معنى]، كما أقام تعريفاً أخر يستند إلى النظرة التاريخية ويتعلق بتحديد المثقفين على أساس المكانـة التـي يشـغلونها داخـل السيرورة التّاريخيِّة، ويُسـمي غرِّامشـي المثقف المرتبـط بطبقـة زائلة أو في طريقها إلى الزوال بالمثقف التقليدي. وبلغة غرامشي يمكن أن نقول: إن الأيديولوجيا القومية هي البديل التاريخي للمُثقف العضوي في الحالة العربية في حين إن القطرية أبشع مكان للمثقف التقليدي، الذي يُقاتل بالنيّابة عن

النشاط السياسي كما يقول غرامشي هو بالتحديد اللحظة الأولى أو المستوى الأول حيث لا تزال البني الفوقية مجرد ر غبـة تريـد أن تَوكـد ذاتهـا، رغبـة مشّوّشـة لا تـزال فـي طورهـا البدائـي، ويُعـد غرامشـي منظّر البنيـة الفوقيـة التـي تُعتبـر محور تحليلاته التاريخية والسياسية، لقد نقل غرامشي بؤرة التحليلُ الاجتماعي في الماركسية من البنية الاقتّصادية إلى البنية الفوقية.

ويرجع اهتمام غرامشي بقضايا البنية الفوقية إلى اعتقاده بأن «المشكلات الثقافية» تكتسب أهمية خاصة في مراحل الجزر الثوري، فكان يقول: «في مثل هذه الأوقات لا تكون هناك معارك طبقية مباشرة، ويتحول الصراع الطبقي إلى «حرب مواقع» فتصبح الجبهة الثقافية هي الميدان الرئيسي للصراع».



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

صحيح أن البنية التحتية أو الظروف المادية تحمل كل نتاج الفكر في المجتمع، لذلك فإن البنية الفوقية، ليست، من هذه الزاويـة، إلا انعكاس البنيـة التحتيـة. لكن ليست الأمـور بهـذه البسـاطـة، وماركس نفسـه يحذرنـا مـن هـذا النـوع مـن التفسـير. فهنـاك تفاعـل وتأثيـر متبـادل بيـن البنـي التحتيـة والبنـي الفوقيـة فـي المجتمـع، فالإنسـان هـو مـن يحـدد مسـيرة التطـور، إذا ما توفرت لديه العوامل الذاتية والموضوعية التي تؤدي إلى النّتائج المرّجوة .يمكننا أن نستنتج من هذا أن منظومة شــاملة مــن الفكـر هــي وحدهــا التــي تعكـس بصــورة عقلانيـة تناقـض البنيــة الراهنــة فــي وطننــا العربــي، ووجــود الشــروط الموضوعية لتثوير الواقع، وتكوين حركة شعبية عربية منظمة يعنى توفر كل الشروط اللازمة لهذا التثوير.

ومِن هنا تحضر أهمِية مفهٍ وم «الهيمنية الثقافية» الذي صاغه غرامشي، حيث إعتبر أن الثقافة، أو الهيمنة الثقافية بالتحديد، تشكل بعدا أساسيا لهيمنــة الرأسـمالية علـى المجتمـع لا يمكـن تجاهلهـا أبـدا فـي خضـم الإعـداد للثـورة السياسـية أو حتى لفهم الوضع السياسي الراهن. ومن هنا انطلق غرامشي، ليحاجج بأن نجاّح الثورة أو التغيير الاجتماعي يعتمد بشكل أساسي على إنتاج «ثقافة بديلة» عند الشرائح المسحوقة في المجتمع، ثقافة تكرس ربط المعاناة الخاصة للمواطن بالمشكلة العامة، لأن الفرد قد يعيش أو يلمس انعكاسات البنية الاجتماعية الظالمة على جزيرته الصغيرة في الوجود، دون أن يتمكن من رؤيـة الأسباب الأساسية للظلم الاجتماعـي والاقتصـادي والسياسـي.

والبُني الفوقية الرائجة، من إسلاموية تابعة غارقة في الماضي، وليبرالية تابعة غارقة في حضن الغرب، هما اللتان تتحكمان بالمجتمع المدني، كما تسيطران مثلاً على المناهج في بعض الأقطار.

المجتمع المدني حسب غرامشي هو مجموعة البنى الفوقية التي تسمح بقيادة المجتمع ثقافياً وأخلاقياً. لذلك ينبغي على المثقف العضوي والحِزب الطليعي كسر الهيمنــة الثقافيــة التابعــة للإمبرياليــة والرجعيــة العربيــة، فكمــا يقـول د. إبراهيم علوشِ «هذا ليس صرِاعاً في مختبر ثقافي أو برج عاجي بين أنصار «ما قبل الحداثة» وأنصار «ما بعد الحداثة»، كما أنه ليس صراعاً بين «برّبريتين»، كمّا ذهب بعض اليساريين الغربيين والعرب، بل هو انعكاس ثقافي للصراع السياسي الدائر على الأرِض لا يقل عنه ضراوة. في مثل ذلك الصراع، لا يجوز الاصطفاف إلا مع مشروع مقاومةً الهيمنة الإمبريالية ثقافياً».

فإذا أردت أن تخلِق توازناً جديداً للقوى، ينبغي عليك أن تهتم بما «ينبغي أن يكون»، فإن الواقعية السياسية «الزائدة عن الحد» غالباً ما تؤدي إلى الزعم بأنه علَّى المرء أن يعمل في حدوَّد «الواقِع الفعلي»، فلا يهتم بما «ينبغي أن يكون» بل بما هو «كائن» وهذا يعني أنه لا ينبغي ألا ينظر إلى ما هو أبعد من أنفه كما يقول غرامشي، فإذا استخدم الإنسان إرادته ليخلق توازناً جديداً بين القوى الموجودة في الواقع، والفاعلة فيه، والتي يشد أزرها ويساعدها على تحقيق النصر، فهذا يعني أنه لا يزال يتحرك على أرض الواقع الفعلي، لكي يسيطر عليه ويتجاوزه (أو يسهم في ذلك). إن «ما ينبغي أن يكون» إذن، ملموس ومحدد، وهذا هو في الحقيقة - يقول غرامشي- الفهم الواقعي والتاريخي الوحيد للواقع، فليست الطوباوية في إرادة تغيير الوضع الراهن، بل هي في إرادة الحفاظ عليه.

فإذا انطلقنا من مسطرة مصلحة الأمّـة كأداة للتحليل، ولأن مثلث التجزئة والاحتـلال والتخلف هو أساس مأساة واقعنـا العربي المعاصر كما حددناها في «لائحة القومي العربي»-، فإن أي برنامج جذري لتغيير واقعنا نحو الأفضل لا بدله أن يضع نصب عينيه مهمة القضاء على هذه الجذور الثلاثة، ولذلك لآبدله أن يكون بالضرورة برنامج: 1) وحدة في مواجهة التجزئة، أي بناء الدولة العربية الموحدة، و2) تحرير في مواجهة التبعية والاحتلال، ومنه إزالة القواعد العسكرية الأمريكية في الوطن العربي، وتحرير كل الأراضي العربية المحتلة من سبتة ومليلة إلى الأحواز، 3) النهضة في مواجهة التخلف، ومنه مشروع التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وتحرير الإنسان من قيود الجهل والعوز والاستغلال والاضطهاد بكافة أشكاله، وجب علينا نصب متاريسنا على كافّة الجبهات، فإنها ليست معارك عديدة، بل معركة واحدة على جبهات متعددة، ولنكرر دائما: «استلاب الوعى ليس شيئا ثانويا».



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

#### الصفحة الثقافية: فيلم دمشق حلب. حكاية عن الأمل

#### طالب جميل

الفيلم السينمائي السوري (دمشق حلب) هو من أحدث انتاجات المؤسسة العامة للسينما في سورية، ولأن دمشق أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ الإنساني، ولكون حلب مدينة الحضارة والموسيقي والجمال الضاربة جذورها فى عمق التاريخ، فقد كان الفيلم الذي يحمِل اسم هاتين المدينتين العريقتين يليق بهما، فكان عملاً جميلاً يحرك المشاعر ويبهج النفس ويستخلص الدمعة من العيون، ويسير بنا إلى حيثما يجب أن نكون بعد مشاهدة عمل مؤثر من هذا النوع.

أخرج هذا الفيلم (باسل الخطيب) وكتبه (تليد الخطيب) وقـام ببطولتـه الكبيـر الـذي لا يشـيخ (دريـد لحـام) مـع نخبـة من ألمع النجوم في سورية مثل (صباح الجزائري، سلمي المصري، عبد المنعم عمايري، كنده حنا، نظلى الرواس، ناصر وردياني، علاء قاسم) وغيرهم، فيما وضع اللمسات

الموسيقية الجميلة للفيلم الموسيقار (سمير كويفاتي).

يتناول الفيلم قصة المذيع المتقاعد (عيسي / دريد لحام) الذي يعيش وحيداً في بيته في دمشق، والذي يتمسك بقيم

المهنّـةُ النّـيّ عمل بها لسنوات طّويلة والذي يرّى أنها تدهورت في عصر إذاعات الـ (F.M)، ويحن للعمل بتلك الإذاعة التي أصبحت مهجورة وينتقد عدم قدرة مذيعي اليوم عن نطق الكلمات بلغة عربية سليمة وعدم قدرتهم على التمييز بين (ال) الشمسية و (ال) القمرية، ويعبر عن حنينه لزمن العروبة والوحدة الذي عاصره عبر تسلسله إلى مبنى الإذاعة ليصدع بصوته الإذاعي هناك قائلاً (هنا القاهرة من دمشق، هنا بغداد، هنا الجزائر، هنا صنعاء، هنا القدس، هنا دمشق من دمشق) وهو الرجل الذي حارب في عامي 1967 و 1973، وهو الذي يرى أن (الربيع) هو الذي جاء بكل هذا الخر اب.

على الجانب الأخر هناك في حلب تكون ابنته (دينا/ كنده حنا) محاصرة داخل بيتها مع ولديها في أحد الأحياء المزروعـة بالألغـام بعـد أن فقـدت زوجهـا جـراء عمليـة خطـف، وعليهـا انتظـار قـدوم الفريـق الروسـي لتمشـيط المنطقـة وإزالة الألغام، فتضطر للعيش بعزلة تامة تحت حماية الجيش.

يقضىي (عيسي) وقته ضجراً متنقلاً بين بيته والمقهى الذي يجالس فيه بعض أصدقائه، ويحاول مساعدة ابنة صديقه الراحل الوحيدة بالترتيب لزفافها، وأثناء ذلك يقع انفجار إرهابي في المبنى الذي يتواجد فيه العروسان وأصدقاء (عيسى) المقربون، فيفقدهم مرة واحدة قبل أن يصلِ إلى هناكِ بلحظات، ليجدهم بين ليلة وضحاها ينامونِ بقبور متوازية بجانب بعضهم البعض في مقبرة واحدة، ليتأكد حينها أن أصدقائه المتواجدين في المقابر أكثر من أصدقائه

بعد تلك الحادثة المؤلمة والمفجعة يقرر (عيسي) مغادرة دمشق والذهاب لزيارة ابنته في حلب، يحمل حقيبته الصغيرة ويتوجه إلى مجمع الحافلات حيث يركب بالحافلة المتوجهة إلى حلب وهنا تبدأ الحكايةً في النصف الثاني من الفيلم، فيلتقي بالحافلة بشريحة متنوعة من الناس يجمعهم رغبة واحدة بالوصول إلى مدينة حلب المحررة من أيدي الجماعات الإر هابية.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

حمولة الحافلة كانت عبارة عن عروسين متوجهين إلى حلب الإقامة حفل زفافهما ويصارعان الزمن للوصول قبل موعد الحفل، وسيدة جميلة وأنيقة مصابة بالسرطان تحمل كفنها في حقيبتها لكي تموت وتدفن في حلب، ومذيع شاب فَي إحدى الإذعات المحلية هوايته ملاحقة الفتيات والتحرش بهن، ومغنية شأبة مع فرُقتها الموسيقية ذاهبة لإقامة حفَّلةٍ في حلب، وِرجل ضخمِ يتقمص دور رجل أمن مع أنه يعمل في مقهى، ورجلَّ آخر بساقٍ مبتورة يرتدي لباسأ ريفيا تِبين لاحقاً أنه ضابط أصيب بالحرب، وفتاة مغرمة بوسائل التواصل الاجتماعي تحب الحديث باللغة الإنجليزية، وإمرأة حامل يأتيها المخاض أثناء الرحلة، وخلال طريق الرحلة تصعد امرأة هاربّة بابنها من بطش أهل زوجها

تصبح الرحلة إلى حلب بحد ذاتها هي الحكاية، وتصبح تفاصيل الرحلة من حكايات وقصص بين ركاب الحافلة هي مـادة الفيلـم، فيحـاول المذيـع الشـاب التعـّرف علـي (عِيسـيّ) الـذي لا يكاد يطيقـه فـي البدايـة ويمـارس هوايتـه فـي معاكســة الفتيات في الحافلة، فيما تُلوم العروس عريسها لأنها تُخشى أن تتأخر على موعد العرس، وتنشغل الفتاة المهووسة بوسائل التواصل الاجتماعي بتصوير نفسها، ويحاول (عيسى) التعرف على السيدة الجميلة المصابة بالسرطان ويتقرب منها إلى أن يجلس بجانبها على ذات المقعد.

أثناء الطريق تتعطل الحافلة، ويخبر مساعد السائق الركاب أن الحافلة لا يمكن إصلاحها وأنه قام بطلب حافلة أخرى تحتـاج لحوالـي أربع سـاعات لتصـل إليهم، فينـزل الـركاب مـن الحافلـة ليكتشـف (عيسـي) أن المنطقـة التـي تعطلـت بهـا الحافلة قريبة من قرية فتاة كانت تربطه بها علاقة خلال فترة دراسته الجامعية، فيقرر الذهاب للسؤال عنها حيث يصطحب معه (رفاه / صباح الجزائـري) و هي السيدة المريضـة، وبعد أن يصـل إلـي القريـة يبدأ بالبحث عنهـا في مقبـرة القريـة لأنـه لـم يكن يتوقع أن تكـون علـي قيـد الحيـاة، لكنـه يصـل إلـي بيتهـا ليجدهـا تعيـش وحيـدة مـع حفيدهـا، فتفـرح (هـدي/ سلمي المصـري) برؤيتـه وتبـدأ باستحضار الذكريـات الجميلـة مـع صديقهـا القديـم، لكـن الزيـارة تنتهـي ويغـادر القريـة ولمـا يعترف لها بحبُّه لها، فيعود إلى مكان الحافلة لاستكمال الرحلة.

الأحداث التي جرت مع ركاب الحافلة والطريقة التي تم التعامل بها مع تلك الأحداث كانت تعكس سيكولوجية لبشر يحاولون التعافي من أثـار وكدمـات ونـدب الحـرب مـن خـلال الحـب والإيثـار والتضحيـة ومـن خـلال محاولتهـم الحفـاظ على ما تبقى لديهم من إنسانية استنفذتها وحشية الحرب، فاستطاعوا من خلال هذه الوصفة انقاذ امرأة هاربة بابنها من أهل زوجها المفقود من خلال وقفتهم الشجاعة معها، وساعدوا العروسين بالوصول إلى حلب بأسرع وقت ممكن للحاق بحفلة الزفاف، وعاد بعضهم مع السيدة (رفاه) التي نسيت حقيبتها في الحافلة المعطلة وبقوا مع بعضهم حتى وصلوا جميعهم إلى حلب بأمان.

لكن (عيسي) كانت بانتظاره مهمة أخرى عند وصوله إلى حلب، وهي الوصول إلى ابنته التي تقيم في بناية محاصرة بالألغام ويمنع الجيش الوصول إليها لخطورة الوضع، لكن مشهد إصراره على اجتياز حقل الألغام عنوة كان مشهداً يحبس الأنفاس تم أداؤه وإخراجه بصورة مشوقة، فيصر (عيسي) على المرور عبر الطريق التي يشتبه أنها مزروعة بالألغام، فيما تكون ابنته على الجهة المقابلة بانتظاره بدموعها التي لم تتوقُّف، حَتِى أَن الصابط كان يراقب المشهد وانفاسـه محبوسـة، وفـي كل خطـوة كان يخطوهـا كان ثلاثتهم ينتظـر مـن القـدر معجـزةً تلطـف بهـذا العجـوز الـذي تكبـد عنـاء السفر ليرى ابنته الوحيدة الثكلي التي تترقب مجيئه منذ فترة طويلة، ولكن القدر لم يخذلهم فوصل الأب إلى ابنته ليعانقا بعضهما بالدموع والقبلات في مشهد إنساني مؤثر.

رغم أن الفيلم يعرج على أثـار الحـرب إلا أنــه لـم يحمل أي مشــاهد مباشـرة للقتـل والمـوت، ورغم مــا تخللـه مـن كوميديــا متشحة بالسواد، إلا أن الخط العام للفيلم كان يسير باتجاه زرع المحبة والانتصار على الألم وتجاوز الوجع من خلال رسالة مفادها أن مسار الحياة في سورية لإ يمكن أن يعود لطبيعته إلا بوحدة وتكاتف كافة أطيافه ومكوناته، وأن لغة الكراهية والحقد والضغينة لا تنتج إلا مزيداً من الخراب والدمار، أما لغة النبل والحب فهي قارب النجاة الوحيد بعد سنوات عجاف كانت مليئة بأمواج الكراهية.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

استطاع هذا الفيلم أن يحقق نجاحاً جماهيرياً كبيراً في سورية وخارجها لقدرته على ملامسة مشاعر المشاهدين والاقتراب منها، وغُرض في عدة عواصم عربية بشكل تجاري في ظاهرة غير معتادة، وحاز على جائزتين في مهرجان الإسكندرية السينمائي في عام 2018 وهما جائزة أفضل فيلم روائي طويل وجائزة التمثيل الكبرى للفنان دريد لحام كما حظي بحفاوة كبيرة في ذلك المهرجان.

#### قصيدة العدد: رسالة حربية عاشقة/ مظفر النواب

في الليل تسلَّل حمّل طائرة الفجر قنابل و هلاهل نفّذ عشقك .. اخرج عن أمر قياداتك خُذ في الجو طريقاً مشبوهاً تعرفه و أنا أعرفه و جماهير الأمة في عين الحلوة تعرفه امرق سهِماً منتِصراً امرق نسرأ شهماً منتحراً اخترق الجبن الرسمي الآن الآن .. العاصمة «الآسر البلية» تحتك من أخذوا رضَّع عين الحلوة تحتك من قصف الدامور من أحرقَ صُورَ من أمطرَ ألاف قنابله العنقودية في أرنونَ و خلدة تحتك من دفن النبطية فلم تُدفن بالضبط هو الآن هنالك تحتك افتح أبواب جهنم يا نسر ر شاشاتك يا نسر صواريخك حبك للدنبا غضبك العب أحز انكَ غربتكَ المُرة في صمت العالم نارك العب لعبتك الربانية على أنف مدافعهم و تأرجح نشواناً نشواناً نشواناً مثل سُكارى العالم قاطبة بين قذائفهم نفّذ نار ك



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

يا الله ننفذ أقدارك
يا نسر إذا حاصرك الأعداء
يا نسر اذا لم يبق لديك قنابل
يا نسر إذا حان لقاء الله
خل جبين الطائرة الفذة نحو الأرض
تماما نحو الأرض
خذ سرعتك القصوى
دمر أي مكان
في العاصمة "الإسرائيلية" واستشهد
فالله سيلقاك قُبيل وصول الأرض

احتضنتك فلسطين ..

- قصيدة "رسالة حربية عاشقة" للشاعر العراقي مظفر النواب، ألقيت للمرة الأولى في أمسية مدرج جامعة طرابلس، ليبيا، 1982.



العدد رقم (61) صدر في 1 حزيران عام 2019 للميلاد

# رسم العدد



انتهى العدد